بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية التربية – قسم اللغة العربية

بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس

بعنوان:

الزندقة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعرَّي

إعداد الطلاب

1. **عبد الرحيم عصام أحمد عبد الرحيم**
2. **محمد الإمام الأمين محمد**
3. **هند مأمون إدريس**
4. **أحمد محمد موسى إبراهيم**

إشراف الدكتور

مبارك حسين نجم الدين

2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى :

{ وَإِذَ أَخَذَ ٱللّه مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} .

صدق الله العظيم

سورة آل عمران الآية (187)

الإهـــداء

إلى

والدتي العزيزة التي كانت شمعة تحترق لتضيء لي الطريق وما زالت

إلى

والدي العزيز الذي وقف كالطود شامخاً يمدني بقيم الإباء

إلى

أخواني وأخواتي

إلى

أصدقائي ورفاق دربي

وإلى

من وقف بجاني وساعدني

الشكر والتقدير

نشكر أولاً وأخيراً الله سبحانه وتعالى الذي أنزل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بدين الحق ليظهره على الدين كله، والحمد لله الذي جعلنا من أمة وسطاً،

وأخص بالشكر جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا التي كانت لنا شمعة تحترق لتضيء لنا دروب العلم والمعرفة وتمدنا بما نحتاج إليه من معلومات .

والشكر والتقدير جله للدكتور / **مبارك حسين نجم الدين** مشرف هذا البحث لما قدمه لي من نصح وتوجيه وإرشاد جزاه الله عني خيراً.

والشكر إلى أسرة مكتبة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

ملخص البحث

قد سار أبو العلاء المعري في الزندقة في رسالة الغفران على نضج أحداث قصصية بأسلوب ساخر ومتعهم يطرح العديد من القضايا والمواقف ، والناظر إلى أسلوبه من جهة هزلية ،يحار قبل الإقدام على مغامرة الضحك ، إذ يطرح العديد من القضايا العقائدية التي لحقها التشويش ، وهي وإن عمدت إلى زعزعت بعض القناعات.

وقد ناقش هذا البحث الزندقة ومفهومها والمشهورين بالزندقة في العصر العباسي الأول ، وقد تناول أكبر المفكرين المشهورين بالزندقة ، وكان على رأسهم أبو العلاء المعري الزنديق المشهور ، إذ سارت به الركيان بعمله الضخم رسالة الغفران ، ومن ثم تناول المعرّي من حيث حياته ونشأته وعصره ، ورسائله وقيمتها اللغوية والفنية .

ومن ثم جنحنا في الفصل الرابع إلى نماذج وصور في الزندقة الواردة في السخرية والتضكم والطرق والملع ، والمعلومات والنوادر والأخيار ، وقد تم تزيل هذا البحث بالنتائج والتوصيات .

Abstract

Had marched Abu Alaa Maari in heresy in the message of forgiveness on the maturity of the events of anecdotal cynical and Mtahm raises many issues and positions, and of the beholder to his hand comic, puzzled before embarking on an adventure of laughter, as raises many issues doctrinal that right jamming, which, although deliberately destabilized to some convictions.

Have discussed this search heresy and the concept and the famous heresy in the first Abbasid era, has dealt with the biggest thinkers famous heresy, and was led by Abu Alaa Maari Heretic famous, as goes by Alrkiyan doing huge message of forgiveness, and then eat Marri in terms of his life and his upbringing and his time, and his letters and value linguistic and technical.

Jnhana and then in the fourth quarter to the models and images in heresy contained in irony and Altdkm roads and the stadium, and the information and anecdotes and good guys, has been to remove the search results and recommendations.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
مستخلص البحث	د
Abstract	هـ
فهرس الموضوعات	و
المقدمة	1
الفصل الأول:مفهوم الزندقة وعوامل انتشارها والمشهورين بها	
المبحث الأول: مفهوم الزندقة	6
المبحث الثاني: دواعي انتشار الزندقة وعوامل انتشارها	11
المبحث الثالث: المشهورون بالزندقة	19
الفصل الثاني:تعريف المعري ووصف رسائله وقيمتها	
المبحث الأول: التعريف بالمعري	30
المبحث الثاني: وصف رسائل المعري والتعرف بها	39
المبحث الثالث: القيمة اللغوية والنقدية لرسائله	49
الفصل الثالث:النماذج الواردة في رسالة الغفران لأبي العراء المعري من الزندقة	
المبحث الأول:الزندقة الواردة في تهكم وسخرية.	65

المبحث الثاني:الزندقة الواردة في أخبار ومعلومات.	71
المبحث الثالث:الزندقة الواردة في طرف وملح.	77
الفصل الرابع:النتائج والتوصيات	
النتائج	84
التوصيات	85
المصادر والمراجع	86

المقدمة :

الحمد لله الرحمن،خالق الإنسان،علمه البيان والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن بلغة العرب الحسان أما بعد:

فمما لا ريب فيه أن أدب المعرّي أدباً غزيراً،ولا سيما رسالة الغفران، فقد حلّى أبو العلاء المعري رسالة الغفران بعض القضايا التي شغلته، وقد تناول هذه القضايا بأسلوب هزل،وإمتاع، وضحك،ومواقف من بعض المسائل اللغوية، والنحوية والدينية ولا سيما الزندقة، وقد انتهج فيها بعض المواقف التي جعلت الدين ، وقيمته مهزلة ، فإذا بالنفاق عمله، وكذلك الزندقة ، والتلّون حسب مقتضيات الحال.

فقد صاغ المعرّي صوره للجنة،استند في خلقها إلى أذهان العامة ومعتقداتهم ، فإذا بها تصير أشبه بالمأخور الدنيوي، تستباح فيها المحرمان بجميع أنواعها ، وتعترف فيها الكبائر والصغائر، فلا دين يردع ، ولا ملك يكتب ويسجل، قد نست المقدسات نتيجة لذلك ، وصار التمتع عن إرضاء الشهوات في الدنيا مجرد إرجاء قصد إشباعها في الدار الباقية .

فقد تناول هذا البحث الزندقة الواردة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، فقد كان زندقا يسمى دوماً إلى الإمتاع والمؤانسة ، والتلاعب بالألفاظ ، وذكر الغريب منها ، حتى أولى هذه الرسالة أهمية بالغة من ناحية تناول قضايا لغوية بث من خلال بعض المسائل النحوية والصرفية والدلالية ، وصحح نسب بعض الأشعار لأصحابها ، وكان أبو العلاء في الزندقة يريد أن يظهر قدرته العلمية والعقلية الهائلة ، وقد جنح على الخيال كثيراً حتى استحوذ على ألباب سامعيه، وامتاعهم.

أهداف البحث :

وقد كان يهدف هذا البحث إلى :

1. التعرف على الزنادقة وتنمية الخيال ، تجلت مظاهر الخيال في رحلة الغفران في عدة مظاهر هي الزمن والمكان والشخصيات والأحداث وقد كان عالم الغفران عجيب غريب لا معقود .
2. كسر الحواجز بين الأجناس اجتماع الإنسان بالحيوان ، والبحث والملائكة والعفاريت وإبليس .
3. استهلاك حياة الناس في اللذة والمتعة وذلك من خلال قلب الجزاء بالنعيم.
4. فضح لمجتمع مفرق في الشهوات الجنسية .
5. تبين الخصائص الفنية لشكل من أشكال القص في النصوص القديمة ولا سيما الغفران .
6. استجلاء مظاهر العقل – القضايا المطروحة .
7. معرفة الدسائس التي تكنيها هذه الفئة الزنادقة – على الدين الإسلامي ومحاولة طمس هوية المسلين.
8. الإمتاع بالنصوص – الواردة في الزندقة من الناحية اللغوية ومعرفة منظومة كلمات عربية جديدة .
9. التعرف على أبي العلاء المعزي وحياته .
10. معرفة مفهوم الزندقة .
11. إدراك نماذج الزندقة من حيث الطرف والنوادر ، والتهكم والسخرية والمعلومات .

مشكلة البحث:

من المشاكل البارزة للزندقة في هذا البحث ، إدخال الأفكار الدينية المناقضة للكتاب والسنة ، والاستهزاء بمكانة الدين ، حتى في الأدلة القطعية ، والإخضاع إلى العقل في كل شيء حتى في الغيبيات فقد صور أبو العلاء النار والجنة وكيفية

دخول ابن القارح لهما وإبراز حجج لإدخال بعض الشعار النار وبعضهم الجنة من خلال أسلوب جذاب مرموق.

يشتمل البحث على مقدمة وأربعة فصول ، تناول الفصل الأول مفهوم الزندقة وعوامل انتشارها والمشهورين بها، ويشتمل على ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان مفهوم الزندقة ، وتناول المبحث الثاني دواعي انتشار الزندقة وعوامل انتشارها، المبحث الثالث المشهورين بالزندقة ، جاء الفصل الثاني بعنوان تعريف المعرَّي ووصف رسائله وقيمتها، يشتمل على ثلاثة مباحث،تناول المبحث الأول التعريف بالمعرَّي،وتناول المبحث الثاني وصف رسائل المعرَّي والتعرف بها، المبحث الثالث القيمة اللغوية والنقدية لرسائله.

الفصل الثالث تناول النماذج الواردة في رسالة الغفران لأبي العراء المعري من الزندقة ، ويشتمل على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول الزندقة الواردة في تهكم وسخرية ، تناول الثاني الزندقة الواردة في أخبار ومعلومات ، تناول المبحث الثالث الزندقة الواردة في طرف وملح .تناول الفصل الرابع : النتائج والتوصيات.

وقد انتهجنا في هذا البحث المنهج الوصفي للزندقة الواردة في رسالة الغفران حيث وصف الخصائص اللغوية والفنية للنصوص ، والإجابة على الأسئلة التي يطرحها أبو العلاء ، ويحاول حلها ، وأيضاً وصف لشخصيته ومعتقده ، وبيئته ، وقدرته اللغوية.

الدراسات السابقة:

1. دراسة نقدية لبعض المعالجات الرئيسية لكتابات المعري للدكتور /سحبان خليفات " الجامعة الأردنية ".

وقد تناول الأفكار التي تناولها أبو العلاء المعري في مؤلفاته ورؤية بعض القدماء لها على سبيل الظلم والتجني الذي ألحقه به بعض القدماء حتى أساؤوا فهمه وهكذا بدأ حركة إعادة الاعتبار لهذا الفيلسوف العقلي.

2. بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية لدانتي للدكتور / أحمد عباس أحمد – المنامة .

وقد أبرز من الرسالة التي كتبها أبو العلاء رداً على ابن القارح – رسالة الغفران – وقد تناول الكاتب جملة من الأمور التاريخية والتصوفية والنحوية والزندقة ، وكانت الرسالة بمثابة رد أبي العلاء .

3. رسالة الغفران للأستاذ/ إحسان عباس .

4. رسالة الغفران للأستاذ/ عبد الكريم خليفة هؤلاء الأستاذان قد تناولا فيما يتعلق بالرسائل القصار في الغفران.

5. رسالة الغفران للدكتور ة/ عائشة بنت عبد الرحمن الشاطبي .

6. دراسات نقدية وتحليلية في رسالة الغفران للدكتورة / عائشة بنت عبد الرحمن الشاطبي.

7. المعري ذلك المجهول للأستاذ عبد الله الملايلي.

8. وقد انطلقت معظم الدراسات القديمة لأبي العلاء المعري من منظور ديني سياسي محافظ هذا ما يمكن أن نصف به كتابات ابن الجوزي ، والذهب ، وغرس النعمة ، وياقوت الحموي .

الغفران دراسة نقدية للدكتور/ عائشة بنت الشاطبي.

الفصل الأول

مفهوم الزندقة وعوامل انتشارها والمشهورين بها

المبحث الأول: مفهوم الزندقة

المبحث الثاني: دواعي انتشار الزندقة وعوامل انتشارها

المبحث الثالث: المشهورون بالزندقة

المبحث الأول

مفهوم الزندقة أو الشعوبية

كلمة الزندقة ليست عربية إنما هي تعريب لمصطلح إيراني كان يطلقه الفرس على ضيع من يؤولون "الأفستا" كتاب داعيتهم زرادتش تأويلاً ينحرف عن ظاهر نصوصه، ومن أجل ذلك نعتوا به دعوة ماني ومن فتنوا بها من الفرس. وأخذ مدلول الكلمة يتسع في العصر العباسي ليشمل كل من استظهر نحلة من نحل المجوس، واتسعت أكثر من ذلك فشملت كل إلحاد بالدين الحنيف وكل مجاهرة الفسق والإثم.

ومعروف أن جمهور الفرس قبل الإسلام كانوا مجوساً على دين زرادشت الذي ظهر في ديارهم حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد وما وضعه لهم من تعاليم ضمنها كتابه "الأفستا" وفيها زعم أن للعالم إلهين هما "أهورامزد" إله النور خالق كل خير و"أهرمن" إله الظلمة خالق كل شر، وأن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يكون فيها حساب الشخص على أعماله فإما النعيم وإما الجحيم، وأن النار المقدسة طاهرة مما جعل الإيرانيين يقيمون لها المعابد في كل مكان. وظهر عندهم في القرن الثالث الميلادي داعٍ يسمى ماني مزج في تعاليمه بين الزرادشتية والبوذية والنصرانية، فأبقى من الأولى على عقيدة إلهي النور والظلمة واستباحة الزوج بالبنات والأخوات، وأخذ م الثانية عقيدة التناسخ وتحريم ذبح الحيوان والطيور، وأخذ من الثالثة الزهد والنسك، وفرض على

أصحابه صلوات وأدعية كثيرة[1]، وفي أواخر القرن الخامس للميلاد يظهر في إيران داعٍ جديد هو مزدك وكان تنوياً يؤمن بإلهي النور والظلمة وتقديس النار.

وقد مضى يدعو دعوة صارفة إلى العكوف على اللذات والشهوات والإمعان فيها، وأحل النساء وأباح الأموال وجعلها شركة للناس، وكان له – كما كان لماني – أتباع كثيرون.

أما الشعوبية: فهؤلاء قدموا الشعوب الأجنبية على العرب وتنقصوا قدرهم وصغروا شأنهم، وكانوا طوائف مختلفة فمنهم رجال السياسة الذين يريدون أن يستأثروا دون العرب بالحكم والسلطان، ومنهم قوميون كانوا يشعرون مشاعر قوميتهم ضد العرب الذين اجتاحوا ديارهم وقوضوا دولهم وهي مشاعر ما زالت تحتدم في نفوس الفرس حتى أحيوا لغتهم ودولتهم فيما بعد، ومنهم مجان خلعاء أعجبتهم الحضارات الأجنبية وما اقترن بها من خمر ومجون واستمتاع بالحياة. وأشد منهم عنفاً وغيظاً من العرب الملاحدة الزنادقة الذين كانوا يبغضون الدين الحنيف وكل ما اتصل به من عرب وعروبة، وفيهم يقول الجاحظ: "إن عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه وطول الجدال المؤدي إلى الضلال، فإذا أبض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، دار المعارف، ص: 79.

أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وهي السلف والقدوة"[1].

وكانت أهم مطاعنهم التي وجهوها إلى العرب أنهم كانوا بدواً رعاة أغنام وإبل، ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ولا مدنية ولا معرفة بالعلوم، فأين هم قديماً من ملك الأكاسرة والقياصرة؟ وأين هم من الحضارة الفارسية والرومية؟ وأين هم من علوم الهند والفرس والكلدان واليونان والرومان؟ وقد مضوا يزرون على خطابتهم واعتمادهم فيما على العصي وإشارتهم بها واتكاءهم على أطراف القسي كما أزروا على أسلحتهم الساذجة وأطعمتهم الخشنة. وأخذوا يتتبعون مثالبهم ويحصونها عليهم ويشخصونها، وكان العرب بسبب أهاجيهم القبلية العنيفة قد وضعوا تحت أيديهم مادة وفيرة منها، فاستغلوا في ذمهم وأضافوا إليها مادة مختلفة صاغوها في قصص وأشعار وأضافوها إليهم وبلغ من سوء نيتهم وشدة موجدتهم عليهم أن حاولوا تقبيح بعض شيمهم الرفيعة كشيمة الكرم، وقايسوا بين ما عندهم من المعارف والتعمق في السياسة وبين ما للعرف من حكم منثورة. وزعموا – فيما زعموا – أن الرسول فضلهم على العرب بمثل قوله: (نابهم أوثق مني بكم) والوضع في هذا الحديث لا يحتاج دليلاً. وحاولوا أن يستلوا قريشاً قوم الرسول من العرب ويدخلوهم في غمارهم فزعموا أن سائلاً سأل الرسول عن أهله وأهل قريش، فقال: نحن قوم من نبط كوثي[2].

---

[1] خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص: 76.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 3، العصر العباسي، الطبعة الثامنة، ص: 83.

وأخذ الزنادقة والشعوبيون في إعلان معتقداتهم علانية، وظهرت آراؤهم وشاعت بين الناس، وخاصة في زمن الخليفة المهدي الذي كان عهده، عهد هدوء واستقرار سياسي، وأخذوا يطرحوا آراءهم دون خول أو وجل.

لهذا برز الخليفة المهدي لمحاربة هذه الحركة، سيما وقد عرف العدل وحسن الخلق، ومحاولة تمجيد الدين الإسلامي، يضاف إلى ذلك أن الهدوء الذي تميز به عهده ساعده على تتبع هذه الحركة، فقد جد الخليفة المهدي في تتبعهم منذ سنة 163هـ/779م، وأنشأ ديواناً خاصاً لهم، عرف بديوان الزنادقة، وعين عليه مسئولين من بينهم عمر الكلوذي، وعبد الجبار، ومحمد بن عيسى بن حمدوية، هذا في العاصمة، أما في مراكز الأقاليم فكان عريف الزنادقة هو الذي يشرف عليهم ويعاونه المحتسبون ورجال الشرطة.

وكانت الطريقة التي يحاكم بها الزنادقة هي القبض عليهم، بعد أقل تهمة – فيطلب إليهم الخليفة أو من يخوله من القضاة أن يرجعوا عن الزندقة إذا اعترفوا بها، فيطلق سراحهم إذا رجعوا، وهذه العملية تسمى الاستتابة، ولكي يتأكد القاضي أنهم رجعوا فعلاً عن الزندقة، كانوا يطلبون من المتهم أن يبصق على صورة ماني، أو يذبح طائراً، لأن المانوية تحرم ذبح الحيوان.

وقد خول الخليفة المهدي مسئول ديوان الزنادقة، أو عريف الزنادقة سلطات واسعة جداً منها قتل كل من يدان بهذه التهمة، وجعل للزنادقة سجناً خاصاً سمي (بسجن الزنادقة) خصوصاً بعد أن أخذوا يعلنون عن آرائهم واعتقادهم علنية ويشير الطبري إلى هذا فيقول: "واستمر المهدي

يطـارد الزنادقـة ففـي حملتـه سـنة 163هـ إلـى بـلاد الـروم قتـل جماعـة مـن الزنادقة في حلب وأحرق كتبهم"[1].

الزندقـــة هـــي إحـــدى الحركـــات الفارســـية التـــي تشـــتهر بالإســـلام كغطـاء لتحركاتهـا، وحاولـت هدمـه مـن الـداخل، وتسـمى الزندقـة بالشـعوبية أيضـاً وكانـت الزندقـة تتخـذ الـديانات الفارسـية أساسـاً لهـا فـي مهاجمـة عقيدة المسلمين وآدابهم وتراثهم وتاريخهم المجيد[2].

---

[1] خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، دار أسامة للتوزيع والنشر، ص: 74.

[2] المرجع السابق، ص: 73.

المبحث الثاني

دواعي الزندقة وعوامل انتشارها

أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان به:

أولاً: إتباع الهوى:

فإن الهوى يعمي ويصم وعند غلبة الهوى لا ينفع العلم ولا المعرفة بل إن صاحب الهوى يستخدم العلم والمعرفة لتأييد ما يهواه ويسوغ الخرافة وهذا ظاهر في كتابات هؤلاء حيث يفرقون بين المتماثلات وتظهر في كتاباتهم الخيانات العلمية والتناقضات حتى في أفكارهم وأطروحاتهم ومصادمة العقل والفطرة وكلها نتاج لإتباع الهوى ولهذا ماذا يمكن أن نسمي: بتر النصوص وإخراجها عن سياقها ومن ثم الطعن في صاحب المقال أو القدح في الفكرة؟ وماذا نسمي الهجوم على رموز الإسلام ومناراته الشامخة والإشادة برموز البدعة والانحراف بل رموز الكفر والإلحاد؟

وصدق الله العظيم إذا يقول: (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين) [الأنعام: 119]

ومن أسباب انتشار هذا الفكر ثانياً الانبهار بالحضارة الغربية، وما يعبر عنه بالصدمة الحضارية الغربية وهي نتيجة لواقع المسلمين المؤلم من التخلف التقني والعلمي التجريبي وهيمنة الحضارة الغربية في جانبها المادي وهؤلاء لم يرفعوا رأساً بالجانب الحضاري في تشريعات الإسلام التي لم يصل إليها الغرب، ولن يصلوا إليها في تشريعات وحفظه بحقوق الإنسان وحفظ كرامته وتوازنه بين الفرد والجماعة، وعظمة تشريعاته والمعجزة التي تصلح لكل زمان ومكان وحتى لا نغرق

في الواقع المؤلم فإن المؤشرات الحالية واستشراق المستقبل تبين أن المسلمين في طريق النهوض الحضاري، وأنهم في امتلاك كثير من أدوات التقنية والعلم.

ثم ثالثاً من هذه الدواعي الهزيمة النفسية، والضعف والانكسار أمام الهجمات المتتالية، من قبل المستشرقين وتلاميذهم الذين كتبوا وألفوا في الطعن في الإسلام وتشريعاته وقدموا صورة مزيفة عن الإسلام الحقيقي الذي أنزله رب العالمين، وقد ظهر ذلك جلياً في موقفهم من قضية الحدود والجهاد والولاء والبراء والموقف من القوانين الوضعية.

وصدق الله العظيم إذ يقول: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: 139].

وأيضاً من أسباب انتشارها الضعف العلمي، وحيث يقل العلم، ويتلقف هذه الشبهات قليلو البضاعة في العلم؛ فإنه بالتأكيد ستمرر عليهم الشبهات والتلبيس الحاصل الآن بدعاوي مختلفة كحرية النقد، أو الموضوعية، أو اختزال في النص، أو التقليد دون إعمال العقل، وهي في الحقيقة - لمن رزقه الله العلم النافع - دعاوي ساقطة مرزولة لأنها تخالف أصول الشريعة وضروراتها كحفظ الدين، فعلى سبيل المثال يطلب منا اليوم السماح بترويج الإلحاد ونشر باطلهم بحجة الرأي والرأي الآخر وتلقي هذه الضرورة المهمة التي هي محل إجماع، وأيضاً فهي دعاوي ساقطة مرزولة لأن ما يطرحه علماء الإسلام ودعاته يتوقف مع النصوص ولا يتعارض مع ما يدعون إليه من موضوعية والشمولية وعدم إقصاء الآخر ونحوها من العبارات المطاطة التي تحتمل معاني متعددة منها الحق ومنها الباطل.

وأيضاً من أسباب انتشارها العوامل الشخصية، ولا شك أن شخصية الكاتب والملقي والمفكر لها تأثير على ما يطرحه من نتاج ثقافي وهذا في الحدود الطبيعية لا يؤثر في الطرح كثيراً، أما إذا أصبحت هناك مشكلة في نفسية وشخصية الكاتب فهنا يحدث الانحراف والتطرف والغلو أو التفريط والتساهل في تقرير القضية العلمية وكثير ممن ينظرون لهذا الفكر ومنظريه كانوا في ما فيهم أصحاب أفكار غالية ومتطرفة وحدثت لهم ردة فعل فأصبحوا أقرب إلى دعاة العلمنة والتحلل وجميع هذه الأفكار – وللأسف – تصاغ باسم الإسلام.

ومن هذه الأسبلب أيضاً الدعم الغربي لهذا التيار، وهذا أمر حقيقي قطعي، فليس هو من قبيل الظن أو التوقع والتخمين، وانك واجد هذه الحقيقة فيما سجلته التقارير الغربية التي صدرت مؤخراً عن بعض المراكز البحثية التخصصية في الولايات المتحدة الأمريكية من الحث على دعم هذا التيار الذي يسمى ب(الإسلام الليبرالي)زوراً وبهتاناً ومنها:

- تقرير جون بي آلترمان (John – Alnterman) مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والإستراتيجية الأمريكي (Studies Center Strategic and International) حيث كتب جون بي آلترمان مقالاً تحت هذا العنوان فيه عن تنامي الدعم الغربي لليبراليين العرب.

- تقرير مؤسسة (راند) الأمريكية حيث نشرت مؤسسة (راند) الأمريكية تقريراً إستراتيجياً بعنوان (الإسلام المدني الديمقراطي الشركاء والموارد والإستراتيجيات) للباحثة في قسم الأمن القومي (شيرلي بينارد) وقد نشر

هـذا التقريـر بعـد أحـداث سـبتمبر 2001م وتحديـداً فـي عـام 2003م وفـي ربيع عام 2004م قامت الباحثة نفسها بنشر ملخص عنه.

وقـد جـاء فـي الفصـل الثالـث مـن هـذا التقريـر وعنوانـه (الإسـتراتيجية مقترحـة) توصـيات عمليـة موجهـة لصـانع القـرار الأمريكـي، لاسـتبعاد التيـارات العلمانيـة والحداثيـة ولأنهـا أقـرب مـا تكـون إلـى قبـول القـيم الأمريكية الديمقراطية.

وتقـرر (بينـارد) مـن خـلال هـذا التقريـر أن الغـرب يراقـب بدقـة الصـراعات الأيدلوجيـة العنيفـة داخـل الفكـر الإسـلامي المعاصـر، وتقـول بـالنص: "مـن الواضـح أن الولايـات المتحـدة والعـالم الصـناعي الحـديث والمجتمـع الـدولي ككـل تفضـل عالمـاً إسـلامياً يتفـق فـي توجهاتـه مـع النظـام العـالمي بـأن يكون ديمقراطيـاً وفـاعلاً اقتصـادياً ومسـتقراً سياسـياً تقـدمياً اجتماعيـاً ويراعـي ويطبـق قواعـد السـلوك الـدولي وهـم أيضـاً يسـعون إلـى تلافـي صـراع الحضـارات بكـل تنويعاتـه الممكنـة والتحـرر مـن عوامـل عـدم الاسـتقرار الداخليـة التـي تـدور فـي جنبـات المجتمعـات الغربيـة ذاتهـا بـين الأقليـات الإسـلامية والسـكان الأصـليين فـي الغـرب وذلـك تلافيـاً لتزايـد نمـو التيـارات المتشـددة عبـر العـالم الإسـلامي ومـا تـؤدي إليـه مـن عـدم اسـتقرار وأفعال إرهابية".

وأيضـاً كـذلك تقريـر صـادر عـن مؤسسـة تـارنيجي للسـلام العـالمي – واشـنطن كتبـه الخبيـر والمحلـل السياسـي بالمؤسسـة المهتمـة بشـئون الشـرق الأوسط فـي الأيـام القليلـة الماضـية نشـاطاً لافتـاً للنظـر، فقـد نظـم معهـد "المؤسسـة الأمريكيـة"مـؤتمراً حـول الديمقراطيـة فـي العـالم العربـي عنوانـه "إلـى المعارضـين العـرب: ارفعـوا أصـواتكم" ودعـا إليـه مجموعـة مـن

ممثلي التيارات الليبرالية لمناقشة دورهم في تحولات أوطانهم السياسية والإستراتيجية الأنجع للدعم الغربي لهم وتلاه "معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى" بعقد ورشة عمل حول مستقبل الليبرالية العربية في ضوء نجاحات القوى الدينية في مجمل ما أجري من انتخابات عام 2005م برلمانية في العراق ومصر وبلدية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وكذلك أيضاً تقرير صادر عن مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية بتاريخ التاسع من يونيو، وقد ركز هذا التقرير على ضرورة أن يكون هدف أمريكا في الشرق الأوسط تشجيع التطور الديمقراطي، وليس الثورة كما يجدر بصانعي السياسات أن يأخذوا بعين الاعتبار التنوع السياسي والاقتصادي في المنطقة وذكر التقرير أن عملية التطور الديمقراطي بطيئة ومتدرجة ويجب أن تتم من خلال النظم السياسية الموجودة في الدول العربية وأشار التقرير إلى أن سياسة نشر الديمقراطية تؤدي إلى بعض المخاطر، ولكن حرمان الشعوب من الحرية ينطوي على مخاطر أكثر، ونبه التقرير على أخذ الظروف الخاصة بكل دولة على حدة مع التأكيد على مبادئ أساسية مثل حقوق الإنسان وتقبل الآخر وسيادة القانون وحقوق النساء والأقليات وعدم ربط الإصلاح بالصراع العربي الإسرائيلي.

وأيضاً من دواعي الزندقة الانكباب على تراث المنحرفين الزائغين من أمثال الصوفية الزنادقة والفلاسفة الملاحدة.

فالمتأمل في تاريخ هؤلاء الليبراليين يلحظ بجلاء أن انكبابهم على تراث المنحرفين الزائغين من أمثال الصوفية الزنادقة والفلاسفة الملاحدة، مع ضعف العلم والبصيرة، كان هو نقطة التحول الرهيبة في حياتهم

الفكرية مثلما كان هو الشرارة النارية الأولى في تغير نسيجهم الثقافي حيث يفعل ذلك التراث فعله الفظيع في النفس الإنسانية.

أسباب الزندقة في العبادة:

فمن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، حتى إن بعضهم يسميه العشق الإلهي كما يقولون عن رابعة العدوية: شهيدة العشق الإلهي، كما ذكر عبد الرحمن البدوي وأمثاله، فهؤلاء يعبدون الله تعالى بالحب فقط، ويقولن: لا نعبده طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره، إنما نعبده محبة لذاته حتى ولو كان مصيرنا إلى النار، عياذاً بالله! ويبنون على هذه المحبة أن الله لا يعبهم، ويقولون:إن الحبيب لا يعذب حبيبه ّ

وهؤلاء كما قال الله سبحانه وتعالى عمن قبلهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) [المائدة: 18].

فدعوى أن الإنسان إذا أحب الله فإن الله لا يؤاخذه هي دعوى الزنادقة الذين كانوا في القرن الثاني وأول القرن الثالث، ومن تتبع وقرأ سيرة أئمة التصوف الكبار والمشهورين كالجنيد، أو النوري، أو الكرخي، أو ذي النون المصري، لوجد أنهم كانوا مهتمين بالزندقة – والعياذ بالله – سواء صحت أم لم تصح؛ لأنهم كانوا يتدينون بهذا الدين، وهو من بقايا الرهبانية النصرانية، وهي مأخوذة عن رهبانية الهندوس، الذين غلوا في المحبة، وادعوا أن الله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه، وإذا فعلوا ذلك فلا حرج عليهم كما ينسبون إلى رابعة:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

وأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأمـــا الـــذي أنـــت أهـــل لـــه فكشـــفك للحجـــب حتـــى أراك

فينقلون هذا الكلام عن أولئك العباد الذين اتهموا بالزندقة كما قال أبو داوود رحمه الله قال: ورابعة رابعتهم في الزندقة، وكان قد ذكر حيان الجريري ورياح بن عمرو القيسي وأبو حبيب ثم قال: ورابعة رابعتهم على الزندقة، والمقصود أن من عبد الله بالحب وحده أو ادعى ذلك، أو زعمه، فإنه زنديق.

ومن اعتقد ذلك فقد أزرى بالأنبياء، وقد أزرى بالصحابة الكرام الذين كانوا يعبدون الله خوفاً وطمعاً، والنبي صلى الله عليه وسلم كما روي عنه خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو من أكثر الصحابة خلطة له صلى الله عليه وسلم يقول عن أولئك الأنبياء: (إنهم يسارعون في الخيران ويدعوننا رغباً ورهباً). [الأنبياء: 90].

وقال: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) [الإسراء: 57].

وتفسيرها هو أن أولئك المدعوين والمعبودين الذين يدعوهم المشركون هم عباد يعبدون الله سبحانه وتعالى، ويبتغونهم أنفسهم إلى ربهم الوسيلة، ويرجون القرب ويرجون رحمة الله سبحانه وتعالى، ويبغون هم أنفسهم إلى ربهم الوسيلة ويخافون عذابه سواء أكان من الملائكة أم من الأنبياء أم من الصالحين، فإذا كان هذا حال المدعوين، فكيف يكون حال الداعين؟! فيجب عليهم أن يتوبوا وأن يستغفروا الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) [آل عمران: 31].

فمن ادعى محبة الله سبحانه وتعالى وجب عليه أن يطيعه بإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه هي الآية الامتحان كما قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله تعالى آية الامتحان: (قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني) ثم جعل الجواب الشرط شرطاً له جواب آخر حيث قال: (فاتبعوني يحببكم الله) [آل عمران: 31].

فالمقصود أن محبة الله سبحانه وتعالى لا تعطى لكل من زعم أنه يحبه، وإلا فعباد الهندوس يحبون الله، وعباد النصارى يتقربون ويدعون ويبكون ويخشعون ويقولون: (نحب الله) لكن هل الله يحبهم؟ هذا هو الأهم: شرط حصول محبة الله أن يكون العبد متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومؤمناً به، فمن كان كافراً به، ومن كان يدعي الانتساب إليه أو أنه من أمته ولكنه لا يعبد الله فدعوته باطلة.

المبحث الثالث

المشهورون بالزندقة

ومن أهم المشهورون بالزندقة سعيد بن حميدان البنكان، وكان من أبناء دهاقين الفرس وزعم أنه من سلالة ملوكهم، وله في الشعوبية والتعصب لقومه كتب مختلفة، منها كتاب فضل العجم على العرب وافتخارها.

ويبدو أن الجاحظ وابن قتيبة جميعاً استطاعا أن يقضياء قضاء مبرراً على الزندقة فما سمع بعدهما بشعر شعوبي أو بمن ألف في الزندقة أو انتصر لها.

وأيضاً ممن كان يذهب هذا المذهب في الحماقة والجهالة والعداوة للعرب الشاعر المنسوب إلى المتوكل لأنه كان من ندمائه، إذ يقول في شعوبية حاذقة ذميمة:

أنا ابن الأكارم من نسل جم وحائز إرث ملوك العجم

وطالب أوتارهم جعدة فمن نام عن حقهم لم أنم

فقل لبني هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندم

ووضح أن قلب المتوكل يضرم حقداً على العرب، وأنه ليتجه إلى أحكامالأمة من بني هاشم ممهداً لهم متوعداً ومنذراً أن يبادروا إلى خلع أنفسهم إلى العودة إلى موطنهم الأصلي في الحجاز، وكأنه نسي أن بني هاشم من قريش ساكنة مكة في القديم وأنهم لم يكونوا رعاة ولا أهل جفاء وخيام، ولكنها هي الشعوبية أو الزندقة الحمقاء العمياء الرعناء[1].

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثانية عشر، دار المعارف، ص: 99-100.

ولـم تهـدأ حركـة الزنادقـة فـي هـذا العصـر بـل لقـد أوراهـا، إذ تحـول كثيـرون منهم إلـى التشـكيك فـي النبـوات عامـة، وكـان مـن أشـدهم نفـراً بـدواً حيـاتهم فـي صـفوف المعتزلـة، ومـا زالـوا يبطنـون الإلحـاد حتـى افتضـح أمـرهم، وانكشـف سـرهم، وفـي طليعـتهم أبـو عيسـى الـوراق المتـوفى سـنة 247 للهجـرة وكـان فـي أول أمـره معتـزلاً، وأحـس المعتزلـة فيـه إلحـاده فطـردوه عـنهمفتحـول شـيعياً رافضـياً، وقـد أثـر تـأثيراً واضـحاً فـي تلميـذه أبـي الحسـين أحمـد ابـن إسـحاق الراونـدي المولـود فيهـا بـين سـنتي 205 و 215، ثـم تحـول عنـه إلـى التشـيع إلـى مـذهب الرافضـة مثـل أسـتاذه أبـو عيسى وصار أعنف خصوم المعتزلة في القرن الثالث الهجري[1].

يقـول ابـن الجـوزي: "كـان ابـن الراونـدي وأبـو عيسـى محمـد بـن هـارون الـوراق الملحـد يتواصـيان بكتـاب "الزمـرد" ويـدعي كـل واحـد منهمـا علـى الآخـر إنـه تعنيفـه، وكانـا يتوافقـان علـى الطعـن فـي القـرآن الكـريم، ولـه كتـاب اسـمه "الـدامغ" ويقـال إنـه صـنف هـذا الكتـاب إرضـاء لليهـودي الـذي كـان يؤويـه، وهـو فيـه ينكـر إعجـاز القـرآن الكـريم، ويقـول ابـن الجـوزي إنـه بـدأ فيـه بـالطعن فـي القـرآن الكـريم وبلاغتـه حتـى زعـم –زوراً وبهتانـاً كبيرا-.

وكـان مـن أهـم مـن نقـد علـى ابـن الراونـدي كفرياتـه معاصـره أبـو الحسـن عبـد الـرحيم بـن محمـد المعـروف بالحيـاط، ولقـد نشـر لـه المستشـرق الملحـد

---

[1] شـوقي ضـيف، تـاريخ الأدب العربـي فـي العصـر العباسـي الثـاني، دارا لمعـارف، ص: 102 – 103.

مـا قعـد بـه مـن الكـذب عـن المسـلمين والطعـن علـيهم"، وكـذلك عنـي بـالرد عليه معاصره أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي[1].

وكـان أهـم مـن ورث عـن الراونـدي فـي زندقـة وطعنـه علـي الـدين الحنيـف، بـل علـى جميـع الـديانات الشـيب أبـو بكـر محمـد بـن زكريـا الـرازي المتـوفى سـنة 320هـ، وكـانإيمائيـاً مـاهراً إلا أنـه اتبـع هـواه وضـل ضـلالاً بعيـداً إذ مضـى علـى هـوى ابـن الراونـدي وأشـباهه بنكـر النبـوات وألـف فـي ذلـك كتابـه "محاربـة الأنبيـاء" إلا أن أبـا حـاتم الـرازي أورد فـي كتابـه "أعـلام النبـوة" اقتباسـات كثيـرة منـه رد عليهـا ونقضـها نقضـاً، وقـد حسـها الـدكتور بـدوي تحلـيلاً جيداً، وأظهـر أنـه يتـابع فـي حججـه وأدلتـه ابـن الراونـدي، فالعقـل يكفـي وحـده لمعرفـة الخيـر والشـر، ولا حكمـة ولا داعـي لإرسـال الأنبياء[2].

وفـي أبـرز شـعراء الزندقـة، حمـاد عجـرد هـو مـن المـوالي أهلـه ونشـؤه بالكوفـة، كلن أبـوه نبـالاً تنبـل النبـل، ويقـال إنـه لقـب بعجـر، لا إعرابيـاً مـر بـه فـي يـوم شـديد البـرد وهـو عريـان يلعـب مـع الصـبيان، فقـال لـه تعجـرت يـا غـلام أي تعريـت فسـمي عجـرداً، يقـول ابـن المعتـز: "كـان بالكوفـة ثـلاث يقـال لهـم الحمـادون: حمـاد عجـرد وحمـاد بـن الـذبرقان وحمـاد الراويـة ويتنـادمون علـى الشـراب ويتناشـدون أجمـل عشـرة، وكـانوا كـأنهم نفـس واحدة وكان جميعاً يرمون بالزندقة".

---

[1] تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص: 113.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ص: 104.

يقول أبو نواس من أنه كان يظن أن حماداً رمي بالزندقة لغلوه على المجون، حتى إذا حبس في سجن الزنادقة، وجدهم يقرأون في صلاتهم شعراً مزاداً له، فعرف أنه كان إماماً من أئمتهم.

ولعل ما كان يتواصل مع حماد الراوية وحماد الذبرقان ككان يتواصل في مجان موطنه المتزندقة من أمثال مطيع بن إياس ويحيى بن زياد. وهو يسلك في مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كما يصرح بزندقة مجاهراً حتى يقول فيه مساور الوراق[1]:

لو أن ماني وديعانا وعصبتهم ... باءوا إليك قلناك زنديق

نت العبادة والتوحيد من خلقاً ... وإذا التزندق ينروح مخاريق

مطيع بن إياس[2]:

كان أبوه ابن مسلم شاعراً، وكان من أهل فلسطين الذين أمر بهم عبد الله بن مروان الحجاج بن يوسف في حروبه عند ضد الثوار، وقد أقام بالكوفة وتزوج بها فولد له مطيع، وبها كان نشؤه ومرباه.

فقد كان متحلل الأخلاق مجاهراً بالفسق والعصيان والزندقة والإلحاد، ومضى في مطالع شبابه بمدح الغمز بن يزيد بن عبد الملك، ويظفر بجوائزه السنية، ووصله بأخيه الوليد، فلسله في ندمائه.

ومن الأجود الذين فزع إليهم في تلك الفترة يستمدحهم بمدائحه معن بن زائدة الشيباني، ويروى أنه لما أنشده مدحته التي يقول فيها مصوراً كرمه وبأسه وحلمه ومصافته:

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ص: 386 – 387.

[2] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص: 389.

فتـــى نـــزارٍ وكهلهـــا وأخـــو الـــ جـــود حـــوى عايتيـــه مـــن كتـــب

نـــرى لـــه الحلـــم والنهـــى خلقـــاً فـــي أصـــوله مثـــل حـــاجم اللهـــب

صالح بن عبد القدوس[1]:

هـو بصـري مـن مـوالي الأزود، وأبكـر الطعـن إنـه فارسـي الأصـل، كان من كبار الزنادقة المشهورين في العصر العباسي.

فزندقـة صـالح بـن عبـد القـدوس زندقـة دينيـة لا زندقـة اجتماعيـة، إذ كـان يعتقد المانويـة اعتقـاداً صـادقاً، وكـان يـؤمن بـألا تسـنية والامتـزاج بـين إلـه النـور وإلـه الظلمـة إيمانـاً عميقـاً، وكـان يتشـبث بنحلتـه تشـبثاً قويـاً، ويذب عنها ذباً شديداً.

ويمكن تقسيم الزنادقة إلى ثلاث طوائف:

1- طائفـة يسـميها صـاحب الفهـرس[2]، رؤسـاء المـانيين فـي الإسلام.

2- طائفة المتلمين.

3- طائفة الرأدياء الماجنين من كتاب وشعراء.

الزنادقة الثوار[3]:

وأول زنديقـة ظهـر فـي بـدء الدولـة، بهـا فريـد، وكـان مـن دسـتهاق نيسـابور زمزميـاً، مجوسـياً يقـدس النـار، وفيمـا قالـه فـي فريـد رجـوع إلـى بعـض عقائـد زرادشـت الأصـلية لعلـه أراد بـذلك إحيـاء الـدين الزرادتشـي القديم وتجديده مما علق به من بدع لا تمت إلى أصله الأول بصلة.

---

[1] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص: 393.

[2] ابن النديم، ص: 471-473.

[3] زاهيـة قـدورة، الشـعوبية وأثرهـا الاجتمـاعي والسياسـي، المبـادئ الإسـلامية فـي العصـر العباسـي الأول، المكتب الإسلامي.

وأيضاً من الزنادقة الثوار إسحاق التركي الذي ظهر في بلاد ما وراء النهر، عقب مقتل أبي مسلم الخراساني.

ومن الحركات الزندقية الثائرة التي واجهها أبو جعفر المنصور عقب مقتل أبي مسلم الخراساني، حركة الراوندية، وقد تفرعت هذه الفرقة وفرقة أبي أبي سلمة الخلال من فرقة العباسية التي تنسب إلى العباس بن عبد المطلب.

وعندما حصل الخلاف بين هذه الجماعة فاستعان أبو جعفر بمعن بن زائدة الشيباني، وعثمان بن نهيك رئس حرسه، والهيثم بن شعبة وقعقاع بن ضرار رئيس الشرطة، وعيسى بن موسى.

وكان من أخطر الزنادقة الثوار الذين رفعوا رايات العصيان على المهدي، رجل من أهل خراسان من قرية يقال لها كره إحدى قرى مرو، ويسمى حكيم أو عطاء أو هاشم، وكان يلقب بالمقنع، فهو أبطل جملة العلوم والصلاة، وجملة الفرائض.

الزنادقة المسالمون:

ومن مظاهر الزنادقة الزندقة الفكرية وقد دعا إليها رجال الفكر والأدب والعلم والكتاب الذين ظلوا رغم إسلامهم يكنون الإخلاص والحنين لدينهم القديم وحضارتهم الفارسية فكانت هذه الفئة أشد خطراً على الإسلام.

فقد كانت الزندقة وسيلة من وسائل اللهو مقلدين في ذلك الشعراء والأدباء الماجنين الذين اشتروا بالزندقة منهم: صالح بن عبد القدوس، وبشارد بن برد، وحماد الراوية وأبي نواس وغيرهم، وقد عرفوا جميعاً

بأناقة الملبس، وفصاحة اللهجة، وظرف العبارة وهذا دلالة على الزندقة ومن أشهرهم:

1- ابن المقفع: وقد أقيم دليل على زندقته من أقواله وأفعاله، فيروى أن ابن المقفع جلس ليأكل فزمزم على دين المجوسية، فقيل له: "أتزمزم وأنت تريد أن تسلم، فقال: أكره أن أبيت على غير دين"، فقد كتب دفاعاً عن النور البسملة بهذه الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم".

2- حماد عجرد: فقد اتهم بالزندقة؛ لأنه كان ينتصر للمانويين بوضع الأشعار التي كانوا يتعبدون بها في صلاتهم ويستخف بالقرآن الكريم، ويدعي أن ما يقوله من شعر أحسن منه.

3- بشار بن برد: كان يخفي الزندقة إلا أنها تلوح بين الفينة والفينة أقول وأفعال تدل على زندقته مثل: عندما يسمع لشاعر يحبه يقول: "أبياتك هذه يا فلان أحسن من سورة كذا وكذا".

وروي عن الفضل بن يعقوب أنه قال: "كنا عند جارية لبعض التجار بالكرخ تغنينا عندنا، فغنت الجارية فطرب بشار وقال: "هذه والله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر، وأيضاً مما يدل على زندقته قوله بالرجعة قبل يوم القيامة، وتصويبه إبليساً في تفضيل النار على الطين ويتدل بقوله:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

فقد أمر الخليفة المهدي صاحب الزنادقة بقتله[1].

ومن الزنادقة المشهورين بالشعر[1]:

---

[1] زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، المكتب الإسلامي، ص: 150-162.

أبو دلامة:

اتهم أبو دلامة زند بن الجون مولى من بني أسد الكوفي بالزندقة، وقد اتهمه بها أبو الفراح الأصفهاني، فهو قضى حياته وهو يمجن في شعره أمام الأمراء والخلفاء العباسيين، متحللاً من فرائض الدين وعاثياً بها، وهم يسرون بمجونه، ويطربون له ويضحكون لعبثه، ويستزيدونه منه، للطف محله عندهم.

وكذلك بشار بن برد، وكان من بني عقيل البصري من كبار الزنادقة وممن أفصح مسلم في شعره عن فسقه وفجوره، ولحاده وكفره، وقد كان شعوبياً حاقداً كارهاً للعرب كرهاً شديداً معتداً بالفرس وحضارتهم اعتداء بعيداً .

ومن الزنادقة كذلك علي بن الخليل رمي علي بن الخيل مولى معن بن زائدة الشيباني الكوفي بالزندقةوقدره بها الجاحظ وأبو الفراج الأصفهاني، وابن النديم، والشريف المرتضى، ويبدو أنه اتهم بالزندقة لأمرين:

الأول: أنه كان من المجان المشهورة قال الجاحظ: "كان حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، ويونس بن هارون، وعلي بن الخيل، ويزيد بن الفيض، وجميل بن محظوظ، وقاسم بن زنقطة، ومطيع بن إياس، ووالية بن الحجاب، وأبان بن عبد الحميد وعمارة بن حربية، يتواصلون كأنهم نفس واحدة.

---

[1] حسين عطولان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت: دار الجيل، ص: 29 – 60.

الثاني: أنه كان صاحب لصالح بن عبد القدوس، فطعن عليه سبب مصاحبة الطويلة له، وحسب معه في الزندقة.

ومنهم سيم الخاسر، فقذف سيم الخاسر بن عمرو مولى بني تيم بن مرة البصري ثم البغدادي بالزندقة وقد قذفه بها ابن النديم، وكانت زندقته زندقة اجتماعية لم تتجاوز الاستخفاف والاستهتار، ولم تعد المجون والعبث، ولم تتخطى الهزل والظرف، وما حفظ من أخباره يظهر ذلك أكثر مما يظهر ما حفظ من أشعاره.

ومنهم أبان بن عبد الحميد[1]:

نظم الجاحظ أبان بن عبد الحميد اللاحقي مولى بن رقاش، البصري في الزنادقة، فطن لهذه الزندقة كل من الدكتور محمد بديع شريف، والدكتور محمد مصطفى هدارة، وكذلك منهم ووالية بن الحجاب يختلف القدماء في أصل والية بن الحجاب الكوفي، أما أبو الفراج الأصفهاني، والخطيب البغدادي فيرويان أنه عربي صليب صريح النسب، وكذلك أبو نواس قذف أبو نواس الحسين بن هانئ مولى عبد الله بن الجراح الحكم البصري ثم البغدادي بالزندقة أو قد قذفه بها بعض أهل عصره، وقذفه بها أيضاً بعض القدماء، ولذلك أبو العتاهية هو أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم مولى عنترة العيني الكوفي ثم البغدادي بالزندقة أو اتهمه بها من أهل عصره هو منصور بن عمار السلمي الخراساني، وآدم بن عبد العزيز كذلك كان زنديقاً، من الشعراء العرب الذين علقت بهم تهمة الزندقة وهي تهمة رمي بها لشدة مجونه، وكذلك

---

[1] حسين عطولان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت: دار الجيل، ص: 67-145.

يحيى بن زياد من الشعراء العرب الذين لحقت بهم تهمة الزندقة، وقد لحقت به هذه التهمة لجراءة وبطالته[1].

[1] حسين عطولان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت: دار الجيل، ص: 67-145.

الفصل الثاني

تعريف المعري ووصف رسائله وقيمتها

المبحث الأول: التعريف بالمعري

المبحث الثاني: وصف رسائل المعري والتعرف بها

المبحث الثالث: القيمة اللغوية والنقدية لرسائله

المبحث الأول

التعريف بالمعري

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أيوب بن أزحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن عطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبره بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، المعرف بالمعري نسبة إلى "معرة النعمان" وهي بلدة بين حلب وحماة ويكنى أبا العلاء وفي ذلك يقول:

"دعوت أبا العلاء وذاك مين ولكن الصحيح أبو النذول

ولد في هذه المنطقة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وهو ينحدر من أسرة اشتهرت بالعلم والشعر والقضاء، عرض الياقوت وابن النديم لهذه الأسرة وتحدثا عن هذه الجوانب فيها، ويقول الرواة إنه لم يبلغ سن الرابعة من عمره حتى اعتل علة الجدري التي فقد فيها بصره، كما إنه يقول: إنه لا يعرف من الألوان إلا اللون الأحمر لأنه ألبس في الجدري ثوب مصبوغاً بالأحمر.

وقد أقبل أبو العلاء منذ نشأته على التعلم والإلمام بالمعارف المختلفة، ويقول القطفي: "لما كبر أبو العلاء ووصل إلى سن الطلب أخذ العربية عن قوم من بلدة كبني كوثر أو أو من يجري مجراهم من أصحاب ابن خالوية وطبقة، وقد قيد اللغة عن أصحاب ابن خالوية أيضاً، وطمحت نفسه من الاستكثار[1].

---

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة السادسة، الناشر دار المعارف بمصر 1919م، ص: 265.

مـن ذلـك فرحـل إلـى طـرابلس الشـام، وكـان بهـا خـزائن كتـب قـد وفـدها ذوو اليسـار مـن أهلهـا ونـزل ديـر الفـارس، وكـان بـه راهـب يشـدو شـيئاً مـن عـلوم الأوائـل فسـمع منـه كلامـاً مـن أقـوال الفلاسـفة حصـل بـه شـكوك مغلـق بخـاطره مـا حصـل بـه بعـض الانحـلال... حتـى فـاه بـه فـي أول عمره وأودعه أشعاراً له ثم ارعوى ورجع استغفر واعتذر".

شخصية أبو العلاء المعري:

كـان أبـو العـلاء ذا نفـس كبيـرة، وذكـاء متقـداً وكـان دقيـق الشـعور يميل إلى التشاؤم.

آثاره:

تـرك أبـو العـلاء نحـو سـبعين مؤلفـاً مـن العلـوم الواسـعة وعزلتـه التـي مكنتـه مـن التـوفر علـى التـأليف كـل ذلـك أتـاح لـه أن يبـرز إلـى حيـز الوجـود، تـأليف كثيـر قـد تبلـغ مـا بـين منثـور ومنظـوم، تتـاول مواضـيع مختلفة من أدب ولغة وفلسفة ودين واجتماع وما إلى ذلك.

ومـن أهـم تلـك الآثـار فـي الشـعر "سـقط الزنـد" و "الـدرعيات" وتسـمى أيضـاً بضـوء السـقط وهـي فـي الحقيقـة قسـم مـن سـقط الزنـد يتنـاول وصـف الدروع، وأيضاً اللزوميات.

ومـن أهـم تلـك الآثـار فـي النثـر: "رسـائل أبـي العـلاء" وهـي كثيـرة طبـع مـا وجـد فـي كتـاب ظهـر فـي بيـروت سـنة 1894م وفـي أكسـفورد سـنة 1898م مع ترجمة إنجليزية.

وقـد ضـاع أكثـر آثـار المعـري وبقـي قسـماً آخـر منهـا مخطوطـاً فـي خـزائن الكتـب، وأهمهـا "سـقط الزنـد" وهـو ديـوان شـعر يحتـوي أكثـر مـن

ثلاثة آلاف بيت نظمه في شبابه إلى بعد رجوعه من بغداد وسماه بذلك لأن السقط أول نار تخرج من الزند، فشبه شعره الأول به.

ومن صفاته كذلك، كان المعري رقيق القلب، دقيق الشعور، سريع الانفعال، شديد الحياء، وافر الحرص على سمعته، خبيراً بمواقع النقضمن البشر وطرق السخرية إليها، محباً للعزلة، كارهاً للدنيا. مزاج عصبي جعله متقلباً كثير الشكوك يميل إلى التشاؤم، والانفراد كسائر العاطفيين، وكان طعامه العدس والتين، لا يمد يده إلى أصناف اللحوم والبيض واللبن والدس وحيوان البحر، ولا يستبيح الخمر بل يخدر بها. وكان مواظباً على الصلاة كثير على الحض بها.

ومن مضامينه في سقط الزند:

1/ المدح:

ينقسم مدح أبي العلاء المعري إلى قسمين: قسماً خص به الأمراء وأرباب السلطان، وقسماً خص به أصدقاءه ومراسليه، فكان الأول رسمياً ففيه كثير من المبالغة والثاني من باب الأخوانيات فتقل فيه المبالغات لما هنالك من عاطفة حقيقية.

وأبو العلاء لا يتحرج من استماله عقله كما في قوله:

والكبـر والحمـد ضـدان اتفاقهمـا مثــل اتفــاق فتــاب الســن والكبــر

يجنـي تزايـد هـذا مـن تنـاقص ذا والليـل إن طـال غـال اليـوم بالقصـر

إن مـدح أبـي العـلاء يحـاول فيـه صـاحبه تقليـد مـن سـبقه، فيجـاري أبـي تمـام فـي اسـتنباط المعـاني ويفوقـه جـلاء، ويجـاري المتنبـئ، ولـه مـن البحتـري دقــة التصــور وبعــد الإيحــاء دون الانســجام، وهــو يهــتم لصــقل المعـاني المعروفـة ويحـاول أن يربطهـا بصـور حسـية أو حقـائق علميـة أو نفسية.

2/ الفخر:

لأبــي العــلاء المعــري بعــض القصــائد فــي الفخــر أشــهرها اثنــان، **أولهما همزية مطلعها:**

ورائي أمام والأمام وراء إذا أنا لم تكبرني الكبراء

وثانيها اللامية التي يقول فيها:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

ويفخــر بنفســه وبقومــه، أمــا بنفســه فيفخــر بصــفاتها الأدبيــة مــن شــجاعة وكــرم وذكــاء، وأمــا قومــه فيفخــر بســلطانهم علــى الشــعر، واســتيلائهم علــى الأرض، وغنــائهم علــى النــاس وافتقــار النــاس إلــى مــا عندهم من معروف.

3/ الرثاء:

لأبـي العـراء سـبع قصـائد فـي الرثـاء اشـتمل عليهـا سـقط الزنـد، رثـى فيها أمه، وأباه، أبا حمزة الفقيه، وجعفر بن علي بن المهذب، وغيرهم.

ولكن أحسن ما قاله في الرثاء رثاءه لأبي حمزة في قصيدة الدالية الشهيرة التي مطلعها:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادٍ

4/ الوصف:

لم يعد وصف أبي العلاء الأشياء المعنوية كالحزن والألم والفرح، وقد تعرض لوصف غير المعنويات ولكنه كان فيها متوكئاً على غيره من الشعراء يستعير منهم صوره ومعانيه وصوره إلى ذلك ملاحقته للمادة:

وأصباح فلينا الليل عنه كماكما يغلي على النار الرماد

بل به الدجى كل سقمٍ وكوكبه مريضٌ مريضٌ ما يعاد

إن أبا العلاء قليل الروائع في الشعر، وكثر في شعره حداثة المبالغة وظهر التكلف كما ظهر في محاكاة الشعراء[1].

ذكاء أبي العلاء وحفظه:

كان أبو العلاء ذكياً ذكاء شديداً سريع الخاطر دقيق الحس حتى ليروي المعيصي الشاعر إنه كان يلعب بالشطرنج والنرد، ويروي ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار إنه لما دخل بغداد أرادوا امتحانه فأحضروا دستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مياومه، وهو يسمع إلى أن فرغوا، فابتدأ أبو العلاء وسرد عليهم كل ما أوردوه عليه.

كان أبو العلاء قوي الحافظة، على ما يظهره قوة شديدة، وكان لا يقرأ عليه كتاب إلا حفظ منه طرفاً [1].

---

[1] حسن الخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 87-88.

حتى ليروي الرواة أنه لما ذهب إلى بغداد طلب أن تعرض عليه الكتب التي في خزائنها فكان كلما قرئ عليه شيء حفظه، وهم يروون أنه كان يحفظ المحكم والمخصص وأنه أملاهما من صدره!!

وربما كان كثير من هذه القصص مبالغة فيه ولكنها مع ذلك تدل على أن الرجل اشتهر في عصره بحدة الذكاء وسرعة الحفظ.

يقول ابن العديم: "كان أبو العلاء على غاية الحفظ والذكاء، وقيل له: بم بلغت هذه الرتبة في العلم؟ فقال: ما سمعت شيئاً إلا حفظته، وما حفظت شيئاً فنسيته"[2].

شخصية أبي العلاء:

كان أبي العلاء دميم الشكل، قصير القامة، نحيف الجسم ضعيفه، واسع الجبهة مشوه الوجه بآثار الجدري والعمى. غير أن ذلك الثوب الرث كان يحوي نفساً كبيرة، وكان وافر البضاعة من العلم، وحتى قال التبريزي: "ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري"[3].

المزاج الفلسفي عند أبي العلاء:

طلب أبو العلاء المعالي والمكارم في غير اللغة والأدب، فلما انقادت له، عكف على استبطان ذاته، وفجر مواهب عبقريته في ما خلف من مواهب الشعر والنثر أثناء عزلته واغترابه النفسي، يقول:

---

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الخامسة، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف 1965م، ص: 379-380.

[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الخامسة، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر 1965م، ص: 380.

[3] سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، الطبعة الأولى 2011م – 1432هـ، دار الميسرة، عمان، ص: 137-143.

طلبت مكاراً ، فأجدت لفظاً كانا لخدان علي الزمان

أيقن أبو العلاء أن مكابدته الحياة لم تنته، ولكنها تحولت إلى منحنى آخر، فمعركة الحياة قد حمى وطيسها، ونار الصراع قد اشتد أوارها، وينكر الدنيا ويكرهها كره شديداً لا رجعة عنه، ويحارب الفطرة البشرية حرباً لا هوادة فيها، ويرفض الحياة ويرحب بالموت ففيه الخلاص من عذاباته وآلامه إذ لم يرى يعد في هذه الوجود إلا كارثة كبرى، لا في الناس إلاذئاباً ضارية، ولا في المرأة إلا قبحاً وبراء، وصاغ أفكاره هذه أدباً تشاؤمياً قلقاً ، وألحاناً حزينة وموسيقا مؤثرة.

ومن خصائصه وسماته:

أولاً : يعد المعري أكبر كتاب النثر المصنوع، بحيث أصبح زعيم مدرسة التصنع، وشكل مدرسة متميزة سميت "المدرسة العلائية".

ثانياً: التزامه في السجع ما لا يلزم، تارة بحرفين، وتارة بحرفين بينهما حرف مد، وتارة بثلاثة أحرف.

ثالثاً: عرف أبو العلاء بثقافته اللغوية، التي مكنته من استعمال الألفاظ الوحشية المهجورة، والقيام على الأوابد اللغوية الجاهلية، حتى أصبح غايته في نفس أبي العلاء، وهو يعد بحق أعظم كتاب السرديات في النثر العربي القديم.

رابعاً: اتجهت المدرسة العلائية إلى التعقيد اللغوي واصطناع الغريب والإكثار من الألفاظ والأحاجي.

خامساً: غلبة النزعة الساخرة على كتاباته لتعرية الواقع الاجتماعي، والسياسي والديني، مستعملاً الرمز حيناً والتمويه اللغوية حيناً آخر.

سلوك أبي العلاء:

أبـو العـلاء واحـد مـن ألمـع أدبـاء العربيـة قاطبـة، شـغل النـاس حيـاً وميتـاً واجتـذب اهتمـامهم فـي حياتـه وبعـد مماتـه، بصـفات لـم تتـوفر فـي غيـره، وسـلوك اخـتص النـاس حيالـه، واختصـموا فـي تقييمـه، ويعنـي بهـذا السلوك ما نسبوه إليه بين الزندقة وانحراف وبين إيمان وتوحيد.

وأبـو العـلاء يتطـاول علـى الأنبيـاء ويشـن الهجـوم علـى آدم أبـي البرية، فيقول وقد عم بحملته جميع أنبياء أبناء البشر:

إذا مـا ذكرنـا آدمـاً ونبـأ لـه وتـزويج بنتيـه لابنيـه فـي الـدنيا

علمـاً بـأن الخلـق مـن أصـل ريبـةٍ وأن جميـع النـاس مـن عنصـر الـدنا

وأبـو العـلاء هـو صـاحب الكنـوز الثمينـة مـن فنـون القـول فـي دواوينـه سـقط الزنـد، واللزوميـات، والفصـول والغايـات، ورسـالة الغفـران وغيرها[1].

عزلته ووفاته:

حـزن المعـري لمـوت أمـه، ومـال إلـى الزهـد، ولـزم بيتـه وسـمى نفسـه "رهـين المحبسـين" أي العمـى والمنـزل بـل سـمى نفسـه أيضـاً رهـين المحبسين الثلاثة: العمى والمنزل ومحبس روحه في جسده.

وبعـد اسـتقراره بـالمعرة وعكوفـه علـى العلـم قصـد طلبـه العلـم مـن كـل حـدب وصوب.

---

[1] مصـطفى الشـعلة، الأدب فـي موكـب الحضـارة الإسـلامية، الطبعـة الثالثـة، الناشـر الـدار المصـرية لبنان، ص: 651-652.

وكاتبه الأمراء وكبار القوم فعظم شأنه وحسنت حالته ولكنه لم يجد وراء الدنيا وهنا سد عظمة، فقد عاش عيشة الزاهدين خلافاً لما كان عليه أبو العتاهية وأمثاله من أهل المنح والجمع.

لم يهمله المرض في أواخر أيامه سوى ثلاثة أيام فتوفي في نهار الجمعة الواقع في 20 أيام سنة على قبره ما يربو على ثمانين شاعراً يرثونه ويدعون فيه "فيلسوف الشعراء"[1].

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر.

المبحث الثاني

وصف رسائل المعري والتعرف بها

إن مواهب أبي العلاء المعري الفطرية، وثقافته الواسعة وعماه، وعزلته أتاحت له أن يبرز إلى حيز الوجود مؤلفات كثيرة قد تبلغ السبعين ما بين منظور ومنثور.

ومن أهم مؤلفاته الشعرية: سقط الزند واللزوميات، وأبرز مؤلفاته النثرية: رسالة الغفران والفصول والغايات، ومعجز أحمد، وعيرها من الرسائل والكتب[1].

رسالة الغفران:

لا ريب أن رسالة الغفران قصة بالغة الطول أنشئت أصلاً للسخرية من عقيدة الغفران واليوم الآخر، والحساب، والعقاب، والجنة، والنار.

فقد جعل أبو العلاء المعري رسالة الغفران مسرحاً للحياة الآخرة، فاعتمد على عنصر عالم الأرواح.

فكتب أبو العلاء هذه الرسالة إلى أديب معاصر له اسمه علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح رداً على رسالة له على رسالة كان قد بعثها إلى أبي العلاء المعري.

ويستمد أبو العلاء عناصر قصته الطويلة من موضوع الغفران في الإسلام، ويوصف يوم الحشر شديد الهول كثير الازدحام، ترى ا لعباد فيها عطاشاً ظامئين لا يرتوون، لا يدخل الجنة منهم إلا من غفر

---

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي، الطبعة الأولى 2011م، دار المسرة، عمان، ص: 138.

الله لـه ونـال جـواز المـرور إلـى الفـردوس فيعـب مـن الحـوض عبـة لا عطش بعدها، ثم يعبر الصراط المستقيم[1].

ويصـور أبـو العـلاء الجنـة تصـويراً مطـولاً ويجـري فيهـا أحـداثاً وتحركـات نابعـة مـن خيالـه، ويصـور أنهارهـا وأشـجارها وثمارهـا وأزهارهـا وطعامهـا وشـرابها وسـاكنيها، والنعـيم الـذي يتقلبـون فيـه بـين الحـور العـين والولـدان المخلـدين، متكئـين علـى سـرر نـاعمين بالراحـة الكبـرى، رغبـاتهم طـول مشـيئتهم كمـا يتخيـل أبـو العـلاء مجـالس اللهـو والقصـف والـرقص والغنـاء والشـراب، ويصـف بعـض هـذه المجـالس وحضـورها مـن الشـعراء ويجري بينهم مناقشات ومصادمات.

ففـي مجلـس الغنـاء يلتقيـان النابغـة الجعـدي والأعشـى، ويختلفـان علـى أيهمـا أفضـل مـن صـاحبه ويشـتكيان – علـى غيـر عـادة أهـل الجنـة ومـا فيهـا مـن وقـار – فينـذرهم ابـن القـارح – الـذي خولـه أبـو العـلاء جـرأة منه وتطاولاً أو يطوف بأرجاء الجنة.

وفـي الآخـر ة يلتقـي ابـن القـارح بمجموعـة كبيـرة مـنم الشـعراء قـدامى ومحـدثين، يلتقـي عمـرو بـن كلثـوم، وامـرئ القـيس ويثيـر بعـض مشـكلات أشـعارهم، كمـا يلتقـي بالرجـاز ويجعـل بيـوتهم فـي الجنـة أقـل ارتفاعـاً مـن بيوت الشعراء.

ويمضـي ابـن القـارح فـي تطوافـه علـى الشـعراء والأدبـا،، وعلمـاء اللغـة يكلمهـم ويناظرهم ويثيـر معهـم المشـكلات اللغويـة والقضـايا الأدبيـة، ويستفسـر عـن أحـوالهم ويسـألهم بمـا غفـر لهـم، ويلاحـظ أن أوصـافهم

---

[1] مصـطفى الشـكعة، الأدب فـي موكـب الحضـارة الإسـلامية، الطبعـة الثالثـة، الناشـر الـدار المصـرية اللبنانية، ص: 673-675.

وأسمائهم التي عرفوا بها في الدنيا قد تبدلت وتغيرت، فهذا الأعشى الشاعر بيدو جميلاً وسيماً، وقد انقلب عشى عينيه حوراً، وقد غفر له لأنه مدح الرسول، فأدخل الجنة على شريطة ألا يشرب فيها خمراً، وغيره من الشعراء[1].

ويجعل أبو العلاء المعري في رسالة الغفران مكاناً للحيوان في الجنة، ويجعل من الحيات فاتنات يأسرن الألباب، ويحتفي بالأوز احتفاء كبيراً، وأوزته في الجنة هي كاعب حسناء، تختال جملاً وتتمايل دلالاً، تحسن العزف وتتقن الغناء فيهيم بها الشعراء ويتتيمون.

ويذكر أبو العلاء المعري الجن في الجنة، ولكنهم فيها غيرهم في الدنيا، حياتهم غير حياة الإنس، قد سلبوا الكثير من المميزات التي كانت لهم كالقدرة على التشكل، وسرعة التنقل والإتيان بالخوارق من الأمور[2].

مضمونها:

تنقسم رسالة الغفران إلى قسمين كبيرين:

1- رحلة ابن القارح في السماء:

يتخيل أبو العلاء أنه قد خطر لابن القارح أن يقوم بنزهة في دار البقاء، فركب جملاً كريماً من جمال الجنة خلق من ياقوت ودر، وسار في الجنة على غير منهج، ورأى ما فيها من نعيم ورأى يوم الموقف وما فيه من هول وشفاعة، وقد أقام فيه ستة أشهر حتى أعياه الحر والظمأ وهو واثق من دخول الجنة؛ لأن معه صك التوبة وقد فكر أن يخدع

---

[1] مصطفى الشكعة، الأدب في مواكب الحضارة، ص: 676.

[2] مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص: 677.

سدنة الجنةبما يخدع به الناس في الدنيا من الشعر فلم يفلح، وأخيراً شفع فيه فنال ما ابتغى، وعاد إلى نعيم الفردوس.

ومن ثم قصد زيارة الجحيم ليرى حال أهلها، فركب بعض دواب الجنة، وسار فمر بجنة العفاريت، وهم جن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم وصل إلى جهنم فوجد إبليساً مضطرباً في الأغلال والسلاسل.

2- الرد على رسالة ابن القارح:

كما هو معلوم قد رسل ابن القارح رسالة إلى أبي العلاء المعري، يذكر فيها شوقه إلى لقائه ويسأله عن عدة مسائل تتعلق بالأدب والفلسفة والزندقة، والتصوف، والتاريخ وأمور الدين والفقه والنحو واللغة وغير ذلك وينحي فيها على الزنادقة، وينتقص الوزير المغربي صاحب أبي العلاء، فقد كان الجواب "رسالة الغفران" وهي أشبه "بكوميديا إلهية" مسرحها الجنة والنار.

وقد تناول المعري في هذا القسم المسائل التي وجهها إليه ابن القراح فيجيبه عنها واحدة واحدة، ويعرض خلال ذلك لمسائل أخرى لم يسأل عنها فنراه يتكلم عن الزمان والمكان، والتناسخ، والقرامطة ومذهب الحلول وغير ذلك مما سئل عنه أو مما عرض له أو أراد هو إثارته[1].

أبو العلاء في كل رسالة الغفران يسخر في مكر ودهاء حتى حين يستشهد بآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، كما يعبث أبو العلاء بمقدسات الآخرة حين يجعل من ابن القارح فتى تفتح له أبو الجنة مرة وتغلق مرة أخرى، فيحتال على رضوان حارس بابها ويحاوره،

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثانية عشر 1987م، منشورات المكتبة البولسية – لبنان، ص: 695-696.

فبعد أن يشهد ابن القارح هول الموقف يعبر الصراط بسهولة ويطرق باب الجنة فيسأله رضوان: هل معك جواز، فيقول: لا، فيقول رضوان: لا سبيل لك إلى الدخول بغير جواز، وهنا يرى ابن القارح إبراهيم بن رسول الله، فيتشبث به وهو يدخل الجنة، فيجذبه معه، وبهذه الطريقة يدخل ابن القارح الجنة.

فالغفران كلها غمز ولمز وتعريض بالعقيدة الإسلامية، بل وببعض العقائد السماوية الأخرى التي تشارك العقيدة الإسلامية اعتقاداتها فيما يتصل باليوم الآخر[1].

رسالة الملائكة:

تخيل أبو العلاء المعري أن ملك الموت قد جاءه ليقبض روحه، فأخذ يدافعه ويستمهله بذكر بعض المسائلة الصرفية والقضايا اللغوية، غير أن عزرائيل لا يمهله لأنه قد جاء أجله.

وعندما يأتيه منكر ونكير في القبر، يطرح عليهما مسائل أخرى، ثم يكتشف أنهما أعلم منه، وحين يمر على جهنم، يأخذ في التودد لمالك خازن النار بمثل تلك المسائل، فيهزأ مالك به لطرحه تلك المسائل في ذلك الموقف، فزجره وسخر منه، بل يمضي في محاورة السائق والشهيدين اللذين يصطحبانه ثم يتركانه مع من قصرت بهم أعمالهم عن دخول الجنة، ولحقهم عفو الله فزحزحوا عن النار.

فيقف مع جماعة من جهابذة الأدباء على باب الجنة، ويطرحون أمام رضوان مسائل لغوية كثيرة، ويطلبون منه أن يكون واسطتهم إلى أهل الجنة، لكي يلقوا إليهم ما ألهمهم الله من العلم، لكنه يبتسم ويخبرهم

---

[1] مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص: 678.

أن أهل الجنة في شغل فاكهون، فهم في نى عن علوم هؤلاء الأدباء، فيطلبون منه أن يمكنهم من مخاطبة بعض العلماء الذين دخلوا الجنة، فيشرف عليهم الخليل بن أحمد فيعرضون عليه المسائل التي عرضوها على رضوان عليه السلام، فيخبرهم الخليل أن الله تعالى جعل من يسكن الجنة ممن يتكلم بكلام العرب بأفصح اللغات دون خطأ أو وهم ويطلب منهم أن ينصرفوا راشدين.

وفي هذه القصة يبرز أبو العلاء خطين متوازيين هما:

1- خط روائي.

2- خط تعليمي.

أما الخط الروائي يعتمد فيه على التصور الأدبي لرحلة خيالية، يهدف من خلالها. إلى تحقيق المتعة الفنية للمتلقي من أجل الوصول به إلى نتيجة تنفعه في دنياه وآخرته ومن جهة أخرى لا بد للإنسان من العمل الصالح لكي يحظى من الله بحس الجزاء.

أما الخط الثاني هو خط تعليمي، يعتمد على ذكر المعلومات وشرحها، الحي يستوعب القارئ ما ورد في الرسالة من المسائل العلمية.

بعض المسائل اللغوية في رسالة الملائكة:

وقد أملاها أبو العلاء جواباً عن مسائل صرفية دقيقة جاء بها أحد تلاميذه فأنكر أن يقصد مثله بهذه المسائل الصعبة.

ثم مهد لجوابه عما مثل عنه بمقدمة أملى فيها تصريفاً لإحدى وعشرين مسألة في سياق تمثله وهو في شيخوخته العالية لرحيله عن الدنيا.

ويقول: "أفترانـي أدافـع ملـك المـوت فـأقول: "أصـل ملـك مالـك" وإنمـا أخـذ مـن الألوكـة وهـي الرسـالة ثـم قلـب، ويـدل علـى ذلـك قـولهم: "الملائكـة" في الجمع، لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها؟ وأنشده قول الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب

فيعجبـه مـا سـمع فينظرنـي سـاعة لاشـتغاله بمـا قلـت فـإذا هـم بـالقبض قلـت: وزن ملـك علـى هـذا القـول: معـك؛ لأن المـيم زائـدة، فـوزن الملائكة على هذا: معاقلة؛ لأنها مقلوبة على مالكه.

فيقـول الملـك: "مـا هـذه الأباطيـل؟ إن كـان لـك عمـل صـالح فأنـت السعيد، وإلا فإنها وراءك".

فـأقول: أمهلنـي سـاعة حتـى أخبـرك بـوزن عزرائيـل فـأقيم الـدليل علـى أن الهمـزة زائـدة فيـه فيقـول الملـك: هيهـات لـيس الأمـر إلـي: "إذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"[1].

ثـم يـدار أبـو العـلاء منكـراً ونكيـراً فيقـول: كيـف جـاء أسـماكما عـربيين متصـرفين، وأسـماء الملائكـة أكثرهـا مـن الأعجميـة مثـل: إسـرافيل، وجبريـل وميكائيـل؟ فيقـولان: "هـات حجتـك وخـل الزخـرف عنـك" فـأقول متقربـاً إليهمـا: "قـد كـان ينبغـي لكمـا أن تعرفـا مـا وزن ميكائيـل وجبريـل علـى اخـتلاف اللغـات فيهمـا إذ كـان أخويكمـا فـي عبـادة الله". فـلا يزيـدهما ذلك علي إلا غلظة ولو علمت أنهما يرغبان في ذلك، لأكثرت.

ثـم يتجـه أبـو العـلاء إلـى خزنـة النـار متسـائلاً فيقـول لمالـك: رحمـك الله ما واحد الزبانية.

---

[1] عائشـة عبـد الـرحمن بنـت الشـاطئ، الغفـران دراسـة نقديـة، دار المعـارف القـاهرة، الطبعـة الرابعـة، ص: 260-261.

فـاختلاف فيهـا أبنـاء آدم فمـنهم مـن يقـول: واحـد الزبانيـة زبنيـة، وقـال آخـرون: واحـدهم زبنـي أو زبنـي فيعـبس مالـك لمـا سـمع ويكفهـر فـأقول: يـا مالـك رحمـك الله مـا تـرى نـون غسـلين؟ ومـا حقيقـة هـذا اللفـظ؟ أهـو مصـدر أم واحـد أم جمـع أعربـت نونـه؟ كمـا أثبتـوا نـون سـنين فـي الإضافة.

ومـن ثـم يتغيـر المشـهد ويتـوارى مالـك ويظهـر "سـائق وشـهيد" وأبـو العلاء يقول متسائلاً:

"وهـل أقـول للسـائق والشـهيد اللـذين ذكـروا فـي الكتـاب الكـريم فـي قوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد).

يـا صـاح انظرانـي فيقـولان: لـم تخاطبنـا خطـاب الواحـد ونحـن اثنـان؟ فأقول: ألم تعلما أن ذلك جائز من الكلام وفي الكتاب العزيز:

قـال تعـالى: (وقـال قرينـه هـذا مـا لـدي عتيـد، ألقيـا فـي جهـنم كـل كفار عنيد).

فقـد جـاءت جماعـة مـن جهابـذة الأدبـاء ومعهـم أبـو العـلاء فيقولـون: يـا رضـوان لنـا إليـك حاجـة، وبعضـها يقـول: يـا رضـو، فيضـم الـواو، فيقـول رضوان: "ما هذه المخاطبة التي ما خاطبني بها أحد قبلكم؟"[1].

فنقـول إنـا كنـا فـي الـدار العاجلـة نـتكلم بكـلام العـرب وإنهـم يرخمـون الـذي فـي آخـره ألـف ونـون فيحـذفونها للتـرخيم وللعـرب فـي ذلـك لغتـان تختلف أحكامهما في القياس قال أبو زبيد:

يا عثم أدركني فإن ركيتي صلدت فأعيت أن تبض بمائها

---

[1] عائشة عبد الرحمن، الغفران، ص: 262-263.

وهـم يـرون أن أهـل الجنـة لا يسـتغنون عـنهم ويقولـون: "إنـه قبـيح بالعبـد المـؤمن أن ينـال هـذه النعـيم، وهـو إذا سـبح لحـن ولا يحسـن بسـاكن الجنـان أن يصـيب مـن ثمارهـا فـي الخلـود وهـو لا يعـرف حقـائق تسـميتها ولعل فـي الفـردوس قومـاً لا يـدرون أحـرف كمثـرى كلهـا أصـلية أم بعضـها زائدة؟ ووزنه: فعلى.

وأيضـاً لا يـدري كيـف تصـغير وجمـع "سـفرجل" ولا يعـرف أيجـوز أن يشتق منه فعل أم لا، والأفعال لا تشتق من الخماسية.

وهـذا السـندس الـذي يطـؤه المؤمنـون ويفترشـونه كمـا فـيهم مـن رجـل لا يـدري أوزنـه: فعلـل أم فعنـل؟ والـذي أعتقـد فيـه أن النـون زائـدة وأنـه مـن السدوس وهو الطيلسان الأخضر.

ويطـول صـبر "رضـوان" علـيهم وهـم ماضـون فـي عـرض دروسـهم المطولـة فـي تصـريف مـا يـنعم بـه أهـل الجنـة وأقـوال أهـل التصـريف فـي بنـاء كـل نعمـة منهـا، ومـذاهب اللغـويين والنحـاة مـع إيـراد الشـواهد مـن قراءات الأئمة وشعر الفصحاء.

وأيضـاً يقولـون لملـك: وإن كـان أهـل الجنـة عـارفين بهـذه الأشـياء قـد ألهمهـم الله العلـم بمـا يحتـاجون إليـه فلـن يسـتغني عـن معرفتـه الولـدان المخلـدون فـإن ذلـك لـم يقـع إلـيهم، وإنـا لنرضـى بالقليـل ممـا عنـدهم جـزاءً عن تعليم الولدان.

فيبتسـم رضـوان ويتلـو قولـه تعـالى: (إن أصـحاب الجنـة اليـوم فـي شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) [1].

---

[1] عائشة عبد الرحمن، الغفران دراسة نقدية، ص: 264-265.

ثـم يقـول: "انصـرفوا رحمكـم الله فقـد أكثـرتم الكـلام فيمـا لا منفعـة فيـه، وإنمـا كانـت هـذه الأشـياء أباطيـل زخرفـت فـي الـدار الفانيـة فـذهبت مـع الباطل.

المبحث الثالث

القيمة اللغوية والنقدية لرسائل المعري

القيمة النقدية لرسالة الغفران:

رسالة الغفران تدل على قوة خيال صاحبها وعظم ابتكاره، كما تدل على سعة معارفه، فهو دائرة معارف في التاريخ والرواية والأديان والمذاهب واللغة والنحو وما إلى ذلك.

وقد وقف فيها المعري موقف الناقد الساخر، فكان ناقد أدب ولغة وتاريخ واجتماع ودين.

ونقد أبي العلاء ممزوج بالسخرية والهزء، وكلامه في ذلك شديد الوقع على خصومه، مؤلم اللذع.

وهو يتناول بتهكمه أخبار الجنة والنار، وفكرة الغفران وكيف يدخل قوم الجنة عن غير استحقاق، ويدخل آخرون النار وليس لهم ذنب، وهو يهاجم البعث بكل قواه، وينفي العودة، ويشجب التناسخ إلى غير ذلك مما يدل على شكوكه.

وهو يحاول أن يخفي شكوكه بظاهر ما في قوله من إيمان بكل شيء، كما يحاول أن يخفي تصريحاته تحت ستار التوريات والغريب من الألفاظ وغير ذلك من ضروب التعبير.

أما نقد أبي العلاء الأدبي فهو يتبع نفس الطريقة في السخرية والتهكم، وهو يتناول المعاني والمباني.

أما المعاني فيحمد فيها الإبداع والابتكار والاتزان وعدم الغلو[1].

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثانية عشر 1987م، منشورات المكتبة البولسية لبنان، ص: 696-697.

فيمتدح أبا تمام مثلاً لأنه صاحب طريقة مبتدعة، ومعانٍ كاللؤلؤ يستخرجها من غامض بحار.

ويأخذ على ابن هانئ الأندلسي غلوه الشديد في مدح المعز، ويأخذ على الوليد بن يزيد أشعاراً فيها كفر ويرميه بقوارص الكلام فيقول أن عقله عقل وليد وقد بلغ سن الكهل.

وهو يأخذ على الشعراء عموماً تزلفهم.

وأما المباني فيعيب على بعض الشعراء استعمالهم ألفاظاً نافرة وقوافي غير معجبة، ويأخذ على رؤية ابن العجاج مثلاً صنعة رجزاً على الغين والطاء والظاء، كما يأخذ على غيره بعض الضعف العروضي.

وإن لم يعرض أبو العلاء في نقده الأدبي للفنون الأدبية، وإن لم يبسط الكلام في النقد بسطاً وافياً، فنقده لا يخلو من عمق، وطرافة، وصواب وأحكام.

القيمة اللغوية لرسالة الغفران:

أسلوب أبي العلاء أسلوب لا يخلو من طرافة ومتعة لما فيه من حوار وظرافة وفكاهة. ولكنه أسلوب تظهر فيه مقدرة الرجل على التعقيد الصناعي، فهو يفرغ وقته الطويل في ضروب من العبث والأغراب، فيستخدم الشعر الغريب والأمثال والإشارات التاريخية.

ويستمد أكثر عقده في صناعة نثره من اللغة، فيستمل الألفاظ الغير المانوسة، ويلتزم في أكثر جوانب سجعه[1]. أن تكون نهاية السجعة لا حرفاً بل حرفين أو أكثر، كما يلتزم الجناس غالباً في

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 697-698.

عباراتـه، ويعتمـد غالبـاً فـي جناسـة علـى الإغـراب فـي الألفـاظ، فجناسـاته أقرب إلى اللغة والإغراب اللغوي منها إلى الفن الخالص[1].

وأمـا رسـالته التـي كتبهـا إلـى عبـد السـلام بـن الحسـين صـاحب خزانـة الكتـب ببغـداد بعـد رجوعـه منهـا، فنجـده قـد غـلا فيهـا فـي اسـتخدام اللفـظ الغريـب، والتعقيـد، لا نغلـو إذا قلنـا أن أهـم مـا يميـز أبـا العـلاء فـي جميـع نماذجـه النثريـة أنـه كـان يطلـب الغريـب مـن حيـث هـو كـأن الإغـراب زينـة ينبغـي أن يتحلـى بهـا جيـد أعمالـه، وكـان يفـرغ دائمـاً إلـى ذلـك فـي آثـاره وسـائله، كـأن اللفـظ الغريـب مـن حيـث هـو غايـة ينبغـي أن يطلبهـا الكاتـب فـي نماذجـه وأعمالـه، وإن أبـا العـلاء ليبلـغ مـن ذلـك فـي بعـض آثـاره أن تصـبح وكأنهـا مـتن مـن المتـون اللغويـة، فهـي تجمـع كـل مـا يسـتطيعه مـن ألفـاظ لغويـة غريبـة مفرقـة فـي الإغـراب، وإنـه ليطلـب أبعـد الكلمـات إغرابـاً ممـا عثـر عليـه فـي الشـعر القـديم؛ ولـيس يهمـه بعـد ذلـك أن تكـون الكلمـة سـجلت فـي المعـاجم اللغويـة، بـل إن عـدم تسـجيلها يدفعـه إلـى أن يسـجلها هـو فـي أعمالـه، ومـن هنـاك كانـت قـراءة هـذه الأعمـال مـن أصـعب الأشـياء، وخاصـة حـين تريـد أن تقـف وقوفـاً دقيقـاً علـى معانيـه، ولعلـه مـن أجـل ذلـك عنـي بشـرح آثـاره وتفسـيرها مـن لزوميـات وغيـر لزوميـات فـي الشـعر ومـن رسـالة الغفـران إلـى الفصـول والغايـات فـي النثر[2].

وإذاً فالإغراب هو العقدة الأولى في آثار أبي العلاء.

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 698.

[2] شـوقي ضـيف، الفـن ومذاهبـه فـي النثـر العربـي، الطبعـة السادسـة، دار المعـارف بمصـر 1119م، ص: 270-272.

وحقاً إنه يتخذ السجع والبديع في عمله ولكنه يعقدها جميعاً لا بالتزام حرفين أو أكثر في أواخر سجعاته، فهذا شيء محتمل إنما بهذا اللفظ الغريب.

المسائل اللغوية والقضايا النقدية:

- مكانها في الغفران.
- الشعر، والعروض، والموسيقا.

- الأهالي اللغوية:

النحو والصرف، الأدب، النقد، الرواية.

- مكانها في الغفران:

لم يأت "أبو العلاء"بهذه المسائل درساً متميزاً في القسم الثاني من الرسالة أو موضوعاً مفرداً بحيث تلقاها مجتمعة في مكان، وإنما ساقها شتى متناثراً، في ثنايا الرد على رسالة "ابن القارح" على حين تراه يفرغ، في القسم الأول لرؤيا الجنة والنار، كما يأتي الحديث عن الزندقة، متميزاً في موضعه من الرد على ابن القارح.

وهذا الضبع من "أبي العلاء"يشبه أن يكون تناولاً عرضياً للمسائل اللغوية والأدبية غير مقصود لذاته، وهذا هو ما دعا الأستاذ "الدكتور طه حسين" إلى الحكم بأن "أبا العلاء قصد إلى افن الخاص، وأما العلم فجاء عرضها".

كما رأيناه في موقف الهول حين الحشر، يثير معركة أدبية يسوق فيها مآخذه على الرواة والنحاة "ومنادي الحشر يقول: أين فلان بن فلان والشوس الجبابرة من الملوك تجذبهم الزبانية إلى الجحيم، والنسوة ذوات

التيجان يصرن بألسنة من الوقود... والشباب من أولاد الأكاسرة يتضاغون في سلاسل النار".

ولعله لو عرض أقوال "أبي العلاء" في الزندقة على النقد الحر والنظر المجرد عن العصبية، لقدر ما تقدمه "الغفران" من أخبار عن الزنادقة وآراء في طبيعة معتقداتهم ليست من التفاهة والسطحية كما يقول ولا هي أقل قيمة تاريخية واجتماعية، مما عده نظرية "شواتسون".

على أن في "الغفران" إلى جانب هذه الأقوال عن الزنادقة والإلحاد أقوالاً أخرى لها اتصال بالموضوع من بعيد[1].

وقد كنت "رسالة الغفران" من هذه الناحية، موضوع تقدير النقاد، المتقدمين منهم والمتأخرين، أشار الذهبي إلى ما فيها من "أدب كثير".

وهذا يقضي أن يكون لهذا الجانب قدر وافر من عنايتنا، حين نتحدث عن المعالم الكبرى لنص الغفران.

الشعر والعروض:

ونبدأ بالإشارة إلى مسألتين لم يتعرض "أبو العلاء" فيهما لشعره سواه وإنما قدم بهما عملاً أدبياً تضيفه إلى رصيده الغني: وتعني لهما قصيدته على لسان العفريت "أبي هدرش، الخيثور أحدني الشبهات، من الجن المؤمنين"وعدد أبيات الأولى عشرون بيتاً، ومطلعها:

حمدت من خط أوزاري ومزقها عني فأصبح ذنبي اليوم مغفورا

وعدد أيات الأخرى تسعة وستون بيتاً ومطلعها:

مكة أقوت من بني الدردبيس فما ليحين بها من حسيس

---

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، ص: 173-174.

وتنظر فيما جاءت به "رسالة الغفران" من مسائل الشعر، فنراها حافلة بكثير منها:

فالشعر يعرفه "أبو العلاء" بأنه الكلام الموزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس. وكان العرب يتعلقون بالنظم، وإن لم يكن صناعة رابحة.

وقد أشار "أبو العلاء" غير مرة إلى أشعار الضعفة من المحدثين، وتكلم طويلاً في ضعف الرجز، وقصوره عن مراتب الشعر وما يغلب عليه من خشونة وتكلف، ويذكر عدد من الشعراء ويحكمهم في صيغ الرواة بشعرهم، وما كان من تكلفهم في تأويله وإفساده إياه. وهو يسوق آراءه النقدية في أسلوب طريف[1].

وإلى جانب ما ذكرناه توجد في "الغفران" مسائل عروضية مفردة جاء بها أبو العلاء ليناقشها أو يلقى برأي فيها. وأول ما يلقانا منها إنشاء في ديباجة الغفران بيتي أبي الهندي:

سيغني أبا الهندي عن وطلب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

مقدمة قرأ كأن رقابها رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

الموسيقا في الغفران:

التفت "الأستاذ فخري البارودي" في حديثه عن المعري والموسيقا بالمهرجان الألفي لأبي العلاء. إلى ما جاء في الغفران عن طرائق الغناء، حيث يقول "ابن القارح" لإحدى قيان الجنة مطربات المدعون إلى مأدبة ابن القارح:

"... أعلمي قول أبي أمامة، وهو هذا القاعد:

---

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، ص: 176-184.

أهن آل مية رابح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

ثقيلاً .فتصنعه فتجيء به مطرباً، وفي أعضاء السامع متسرباً ... فيقول: هلم خفيف الثقل الأول. فتتبعث فيه بنغم لو سمعه "تعريض" لأقرأن ما ترنم به المريض... فإذا أجادته، وأعطته الهمزة وزادته، قال: عليك بالثقيل الثاني، ما بين المثالث والمثاني، فتأنى به على قرى لو سمعه "عبد الله بن جعفر" لقرن أغاني "بديح" إلى هدير ذي المشفر. فإذا رأى ذلك قال: سبحان الله، لكما كشفت القدرة بدت لها عجائب، لا لا تثبت لها النجائب فصيري إلى خفيف الثقيل الثاني".

ونترك للأستاذ البارودي، أن يعلق على هذا فيقول: "فمن هذا الخبر يظهر لنا أن "المعري"كان عارفاً بأصول الخروج من لحن إلى لحن، إذ أن بين الأنغام توافقاً وتنافراً، وليست لكل نغمة توافق السير مع غيرها من النغمات، بل إن هناك نغمات لا تأتلف مع غيرها البتة. ونرى الجهلاء اليوم لفن الموسيقا يقترحون على مغن أغنية من مقام "السيكاه"بينما يكون المغني آخذاً بإنشاد أغنية من "الحجاز كار"مثلاً، ففي هذه الحال لا يعلم إلا الله مقدارها يصيب المغني من التأثر التنافري الواقع بين النغمتين، وهذا لم يغفل عنه "أبو العلاء" كما ظهر لنا من الخبر السابق، وقد جاء في "رسائل إخوان الصفا" أن الخروج من لحن إلى لحن، والانتقال منه، ليس له طريق إلا على أخد الوجهين: إما أن ينقطع ويسكت ويصلح الدساتير والأوتار بالحذق والإرخاء، ويبتدئ "فيستأنف" لحناً آخر... "أو" يخرج من ذلك اللحن على لحن قريب منه

مشاكل له، وهو أن ينتقل من الثقيل إلى خفيفه، أو من الخفيف إلى ثقيله، أو على ما قارب منه"[1].

اللغة والأمالي النقدية:

في (الغفران) أمال لغوية جمع فيها "أبو العلاء" بعض ما استظهر من مفردات اللغة وصيغها ومعانيها، ورواها في صبر واستقصاء، وقد مرت بنا أمثلة من ذات في حديثنا عن الظواهر الأسلوبية للغفران: من جمع واستطراد وشروح لغوية، مثل صنيعه في جمع المشتركات اللفظية لكلمة أسود، وأباريق، ومروره بالقافية في بيتي "النمر" على حروف الهجاء جميعاً، وتبعه في القسم الثاني للفظ دنانير، وثمانين، في الشعر والأمثال، وغيراده لأسماء الخمر ومدمنيها، إلى غير ذلك مما لا نطيل بنقله.

وإذا تركنا هذه المجاميع والأمالي اللغوية، بقيت أمامنا مسائل أخرى مفردة، عرضها "لأبو العلاء" على طريقته المختارة.

قد يكتفي – في القليل منها – بعرض المسألة وتسجيل ما قيل فيها، من غير أن يفصل فيها أو يختار قولاً بعينه منها، ليدل على معرفته لها وإحاطته بها أو قولاً من بجواز الأقوال فيها.

كما فعل في قوله لتميم بن أبي بن مقبل: "أخبرني عن قولك:

يا دار سلمى خلاء لا أكلفها إلا المرانة حتى تسأم الدنيا

ما أردت بالمرانة؟ فقد قيل: إنك أردت اسم امرأة، وقيل هي اسم ناقة، وقيل العادة فيقول تميم: والله ما دخلت باب الفردوس ومعي كلمة من الشعر ولا الرجز[1].

---

[1] المهرجان الألفي لأبي العلاء، ص: 392.

ومن حديثه مع "علقمة":

ولو صادفت منك راحة لسألتك عن قولك:

وفي كل حيّ قد خبط بنعمة

أهكذا نطقت بها طاء مشددة، أما قالها عربي سواك، فقد يجوز أن يقول الشاعر الكلمة فيغيرها عن تلك الحال الرواة.

"وإن في نفسي لحاجة من قولك:

كأس عزيز من الأعناب عنقها لبعض أربابها حانية الحوم

وكذلك قولك:

يهدي بها الكف الخدين مختبر

فروي: يهدي، بالدال غير معجمة، ويهذي بذال معجمة، وقيل: مختبر من اختبار الحوائل من اللواقح، وقيل: هو من الخبيز أي الزبد، وقيل: الخبير، وقيل الوبر".

ويقول لعمرو أيضاً : أنشدني قولك:

بان الشاب وأحلف العمل وتغير الإخوان والدهر

وقد اختلف الناس في تفسير العمر فقيل إنك أردت البقاء، وقيل إنك أردت الواحد من عمور الأسنان وهو اللحم الذي بينها.

فيقول عمراً متمثلاً :

خذا وجه هرشي أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق

---

(1) 246-247.

ولـم تتـرك فـي أهـوال القيامـة عبـر للإنشـاد، أمـا سـمعت الآيـة[1]: (يـوم ترونهـا تـذهل كـل مرضـعة عمـا أرضـعت، وتضـع كـل ذات حملٍ حملهـا وتـرى النـاس سـكارى ومـا هـم بسـكارى ولكـن عـذاب الله شـديد)، وقـد شهدت الموقف، فالعجب لك إذ بقي معك شيٌءمن روايتك"[2].

ومـذهب "أبـي العـلاء" فـي هـذا واضـح، كمـا هـو واضـح بعـد فـي المسـائل النحويـة والأدبيـة: يلتـزم السـماع فـي اللغـة، ويكـره التأويـل والقيـاس، ولـيس حفظـه اللغـوي النـادر إلا مظهـراً مـن مظـاهر تعلقـه بالسـماع، ومـن ثـم نـراه شـديد الحـرص علـى سـلامة الروايـة، دقيـق الحـس لما يداخلها م زيف.

تشـهد لاطمئنانـه إلـى حفظـه، وثقتـه فـي جمعـه وروايتـه وعلمـه، تلـك الأحكـام الحاسـمة الجازمـة التـي يقـرر بهـا أن العـرب عرفـوا هـذا اللفـظ، أو أن مشهوري الثقات حكوا تلك الكلمة أو ذلك الوزن[3].

النحو والصرف:

عنـي "أسـتاذنا إبـراهيم مصـطفى" رحمـه الله. وبحثـه بالمهرجـان الألفـي – لمـا فـي (الغفـران) مـن رأي فـي "سـيبويه" وكتابـه "والسـيرافي" وشـرحه "وأبـي علـي الفارسـي" وكتبـه وقـد نقـل مـن (الغفـران) سـؤال "ابـن القارح" للنابغة الجعدي حول إعراب مستنكر في قوله:

وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحاً ولا (مستنكراً) أن تعقرا

يشـير "أبـو العـلاء" هنـا إلـى مـا أجـازه سـيبويه فـي (كتابـه: 331) من جر مستنكر وتوجيهه لذاك.

---

[1] سورة الحج: الآية (2).

[2] 240.

[3] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، ص: 189-192.

وقد رأى الأستاذ في هذين النقدين، أصلين يرجع إليها أكثر ما نقده "أبو العلاء" من "نحو البصرة":

الأول: أن نحاة البصرة بقياسهم قد قولوا العرب ما لا يقولون، وأجروا على ألسنتهم غير ما يرضون.

الثاني: أنهم تكلفوا في توجيه الكلام وتخريجه ما أوقعه في الأباطيل.

والمتتبع لمواقف "أبي العلاء" من النحاة، في (الغفران) وفي آثاره الأخرى يطمئن إلى ما ذهب إليه الأستاذ إبراهيم مصطفى، وإن كنا نلاحظ عليه أن استشهد (لتكلف نحاة البصرة في توجيه الكلام بما أوقعه في الأباطيل) بعبارة لا تقوم شاهداً على ذلك ابن زيد: "دعني من هذه الأباطيل" لم يقصد به تكلف النحاة بخاصة، وإنما أراد أنه في شغل بنعيم الجنة عن أباطيل الشعر والنحو والنحاة جميعاً .

ثم نقل الأستاذ بعد ذلك نقد "أبي العلاء" لما ذكره "أبو سعيد السيرافي" في شرحه – للكتاب – التي تنسب إلى "آدم" وهي:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغيرت كل ذي لون وطعم وغودر في الثري الوجه المليح

واكتفى أستاذنا بما أشرنا إليه من المسائل النحوية في (الغفران)، تاركاً ما عداها، وإنه لكثير، فضاعت هنا فرصة كانت جديرة بأن تدرس لنا "النحو في الغفران" على هذا النحو الذي يلتمس أصول كل مسألة في كتبها، ويرجع إلى أقوال النحاة فيها، ثم ينظر في مناقشة "أبي العلاء" لها فيما أورده عليها، مع بط كلامه هذا بنظريه في آثاره الأخرى

وإرجاعه إلى أصول عامة في المذهب النحوي للشيخ، ونقده لمذاهب النحاة.

و(رسالة الغفران) تعين على مثل هذا، فحظ النحو فيها غير قليل ومذهب "أبي العلاء" فيها واضح مبسوط.

بعد أعوام من المهرجان، نشر الأستاذ "الدكتور أمجد الطرابلسي" سنة 1951م، كتابه عن "النقد واللغة في رسالة الغفران"، وقدم فيه دراسة متخصصة، منسقة في أبواب ثلاثة، المعري العالم المعلم، والنقد الأدبي في الغفران، والاستطرادات اللغوية. فوضع في المكتبة العلائية درساً متخصصاً يقوم على استقراء الشواهد وجمع الأشباه والنظائر، وأكتفي هنا بتقديم نماذج مما في الغفران من قضايا ومسائل لغوية، راعينا في اختيارها، دلالتها على أسلوب الشيخ في التناول ومذهبه في النحو القائم على الاحتكام إلى ما حكاه مشهورو الثقات، وضيقه بالتكلف في التأويل، وبالمعنى مع القياس معنياً يراه منتهياً إلى أن يجيز في العربية ما ليس فيها.

ونبدأ بالمعارك الأدبية التي شبها: إما بينه في أشخاص من اختبار من الشعراء، أو بما لقن ابن القارح، وبين الرواة والنحاة. وإما بين هؤلاء بعضهم وبعض[1].

قضايا النقد والرواية:

لعل هذه القضايا أقرب اتصالاً بالدراسة النقدية، ولأبي العلاء هنا نظرات دقيقة في فقه العربية، ووزن الروايات، وذوق الشعر، ونقد المتن.

---

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، ص: 193-195.

وهي تشهد بما كان له من دقة الملاحظة وسلامة الذوق الفني وصفاء الحس اللغوي.

وقد تعرض "أبو العلاء" للكثير من القضايا الأدبية التي شغلت النقاد زماناً، وما يزال منها ما يشغلهم حتى اليوم، كمذهب أبي تمام والراوية والاستشهاد والانتحال وصناعة الأدب ولغة أهل الجنة كما عرض لمسائل مفردة، تتصل بالأدب وتاريخه ونقده.

ويتحدث "أبو العلاء" كما يذهب إليه الشعراء في الغلو في القول تحسين للكلام، أو تلاعباً به، دون أن يعتقدوا ما يقولون.

يقول "لبيد بن ربيعة" للأعشى: "سبحان الله يا أبا بصير! بعد إقرارك بما تعلم، غفر لك وحصلت في الجنة؟! فيقول الشيخ متكلماً عن الأعشى: كأنك يا أبا عقيل، تعني قوله... وقوله.... وقوله... ونحو ذلك مما روي في ديوانه؟ فلا يخلو من أحد الأمرين: إما أن يكون تحسيناً للكلام على مذهب الشعراء وإما أن يكون فعله فغفر له".

ويتلو: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) [1].

ويرى أبو العلاء في (الغفران) أن حرفة الأدب صناعة خاسرة فالشاعر "النابغة الجعدي" يعير "الأعشى" بمدح الملوك. ويرى زوجته "الهزانية" قد وقفت في تخلية هذا الناتج الذي يطوف الأحوية على العظام المنتبذة.

وفي القسم الثاني من الرسالة. يسجل "أبو العلاء" شهادته على هذه الصنعة ويقول: "ولم يزل أهل الأدب يشكون الغير في كل جيل،

---

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، ص: 210-212.

ويخصون من العجائب بسجل سجيل. وهو – أي ابن القارح – يعرف الحكاية أن (مسلمة بن عبد الملك) أوصى لأهل الأدب بجزء من ماله وقال: أنهم أهل صناعة مجفوة. وأحتسب أنهم والحرفة خلقاً توأمين، وإنما ينجح بعضهم ذات الزمين، ثم لا تلبث أن تزل قدميه...".

"وإذا كان الأدب على عهد بني أمية، يقصد أهله بالجفوة فكيف يسلمون من بأس عند مملكة بني العباس؟ وإذا أصابتهم المحن في أيام الرشيد، فكيف يطمع لهم بالحظ المشيد؟ أليس أبو عبيدة قدم مع الأصمعي، وكلاهما يريد النجعة، ولا يلتمس إلى البصرة رجعة فتشبث بعبد الملك ورد معمر؟... ومن بغي أن يتكسب بهذا الفن فقد أودع شرابه في شن، غير ثقة على الوديعة، بل هي منه في صاحب خديعة..." [1].

الرواية لأبي العلاء في (الغفران):

وقد اهتم بها اهتماماً خاصاً، وبنقدها، وحرص على سلامة المروي عن العرب من العبث والانتحال. فلا تكاد تبدأ الرحلة معه إلى الجنة، حتى يقدم إليك طريقته المختارة في الرواية والنقل، ذلك حين يلقن ابن القارح – في نزهته بالجنة – أن يتمثل بقول البكري:

ليت شعري متى تخب بنا النا قة نحو الغريب فالصبيون

محقباً زكرة وخبر رقاق وحباقاً، وقطعة من نون

وأبو العلاء يحتكم في فحص الرواية إلى القواعد المعتبرة في نقد السند والمتن، معتمداً في السند على ما نقل عن مشهوري الثقات، وحفظه النادر لدواوين الشعر، وراجعاً في نقد المتن إلى سلامة المروي،

---

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، ص: 212-213.

وإلـــى خبرتـــه الدقيقـــة بأســـاليب الشـــعراء، وفقهـــه لأســـرار العربيـــة وحســـه المرهف لذوقها.

من ذلك قوله (لعمرو بن أحمر) في رائعته التي قال فيها:

وجرادتات تغنيانهم

"ولقد وجدت في بعض كتب الأغاني صوتاً يقال غنته الجرادتان، فتفكنت لذلك الصوت:

أقفر من أهله المصيف فبطن عردة فالغريف

وهذا شعر علي قربى: أقفر من أهله ملحوب.

ومن الذي نقل إلى المغنيين في عصر "هارون" وبعده، أن هذا الشعر غنته الجرادتان؟ إن ذلك لبعيد في المعقول، وما أجدره يكون مكذوباً؟[1].

[1] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، ص: 215-216.

الفصل الثالث

النماذج الواردة في رسالة الغفران لأبي العراء المعري من الزندقة

المبحث الأول:الزندقة الواردة في تهكم وسخرية.

المبحث الثاني:الزندقة الواردة في أخبار ومعلومات.

المبحث الثالث:الزندقة الواردة في طرف وملح.

المبحث الأول

الزندقة الواردة في تهكم وسخرية

فقد احتوت رسالة الغفران لأبي العلاء المعري نماذج من التهكم الخفي على أئمة وأراد أن يقتحم المشكلة الدينية مباشرة، يحاول أن يعرض بمهارة أدبية، من التهكم الخفي ما ذكره في سخرية عن "هذا الصالون الخفي" الذي جعله جنة المؤمنين.

بل لم ينسب أبو العلاء حتى الشعراء الذين لم يدركوا الإسلام أن يقدم بين يدي كل واحد منهم وسيلة للمغفرة: "فزيد بن عدي" شفع له أن فيقول: "كان على دين المسيح، ومن كان من أتباع الأنبياء قبل أن يبعث محمد فلا بأس عليه وإنما التبعية على من سجد للأصنام..." غفر له حيث يقول: "لأن نفسه كانت من الباطل نفوراً، وكان مؤمناً بالله العظيم، ورأى فيما يرى النائم جبلاً نزل من السماء، من تعلق به من سكان الأرض سلم، فعلم أنه أمر من أمر الله، فأوصى بنيه عند الموت إن قام قائم يدعوهم إلى عبادة الله فليطيعوه، ثم هو القائل[1]:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم فيخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يقدم فينقم

والنابغة الذبياني كان مقراً بالله وحج البيت في الجاهلية، فغفر له، فقال:

فلا لعمر الذي قد زرته حججاً وما هريق على الأنصاب من سجد

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الفيل والسند

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران لأبي العلاء المعري، دار المعارف بمصر، ص: 165-166.

و"عبيد بن الأبرص" مر به "أبو العلاء" على الهاوية قبل أن يدخله الجنة، ثم شفع له قوله في أيام الحياة.

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخب

وسار هذا البيت في الآفاق فلم يزل ينشد ويخف عنه العذاب حتى أطلق من القيود والأصفاد ثم كرر إلى أن شملته رحمة...." الغفران ص: 69-70.

أما "الأعشى" وقد أدرك الإسلام ومضى يطلب الإسلام فصدته قريش وحبه للخمر، فقد تحايل "أبو العلاء" لإدخاله الجنة بعد أن أوقفه على شفا الهاوية، فقال أبو العلاء:

"سحبتني لزبانية إلى سقر، فرأيت رجلاً في عرصات القيمة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر، والناس يهتفون به من كل أواب: يا محمد يا محمد، الشفاعة الشفاعة! نمت بكذا ونمت بكذا.

فصرخت في أيدي الزبانية: يا محمد أغثني فإن لي بك حرمة، فقال: يا علي، يا درة فأنظر ما حرمته، فجاء علي بن أبي طالب وأنا أعتل كي ألقى في الدرك الأسفل من النار فزجرهم عني وقال: ما حرمتك؟ فقلت: أنا القائل:

ألا أيهذا السائلي أين بممت فإن لها من أهل يثرب موعدا

فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حقي حتى تلاقي محمدا

"وقد كنت أؤمن بالله وبالحساب، وأصدق بالبحث وأنا في الجاهلية من الجهلاء، فمن ذلك قولي:

يراوح من صلوات المليك طروا سجوداً وطوراً جؤارا

بأعظم منك ثقي في الحساب إذا النسمات نفضن الغبارا

"فذهب علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذا أعشى قيس قد روى مدحه فيك وشهد أنك نبي مرسل[1].

فقال: هلا جاء في الدار السالفة؟ فقال علي: قد جاء، ولكن صدته قريش وحبه للخمر، فشفع له فأدخل الجنة على ألا يشرب فيها خمراً ... الغفران، ص: 63-64.

أما في قوله عن "بشار" حيث يقول في القسم الثاني من الغفران:

"وبشار إنما أخذ ذلك عن غيره، وقد روي أنه وجد في كتبه رقعة مكتوب فيها: إني أردت أن أهجو فلاناً ابن فلان الهاشمي، فصفحت عنه لقرابته من الرسول صلعم" وهو يقول لا أحكم عليه أهو من أهل النار.

فقد كانت موقف أبي العلاء من "بشار" موقف تعوذه الدقة، وإدراك العوالم المتباينة التي كان الشاعر ينتقل بينها، والعوامل التي كانت تتحكم فيها يصدر عنه.

أما قول أبي العلاء "وما يحفل ربه بالعبيد صائمين للخيفة أو مفطرين..." الغفران ص: 382، إنما الأمر هنا كالآية الكريمة (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) ولا أظن هنا زندقة.

ومن النماذج الواردة في الغفران للزندقة دفاعه عن المتنبئ، عندما نرى ابن القارح يقحم الحديث عن المتنبئ، متعسفاً في تأويل قوله:"أدم إلى هذا الزمان أهليه".

وذاهباً به إلى أبعد مما تحتمله العبارة، قال: "صغرهم تصغير تحقير غير تكبير، وتقليل غير تكثير فنفث مصوراً وأظهر ضميراً

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 167.

مستوراً ... وما يستحق زمان ساعده بلقاء "سيف الدولة" أن يطلق على أهله الذم، وكيف وهو القائل:

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بجسامه[1]

ولا يجب أن يشكو عاقلاً ناطقاً، إلى غير عاقل ولا ناطق، إذ الزمان حركات الفلك، إلا أن يكون ممن يعتقدون أن الأفلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدري بمواقع أفعالها بقصود وإرادات ويحمله هذا الاعتقاد على أن يقرب لها القرابين ويدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله:

فتباً لدين عبيد النجو م ومن يدعي أنها تعقل

أو يكون كما قال تعالى في كتابه الكريم: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ويوشك أن تكون هذه صفته[2].

ومثل هذا الاعتساف، وذلك التأويل الظالم جدير بأن يثير رجلاً "كأبي العلاء" دفاعاً عن شاعر كالمتنبئ، كان يحبه ويقدره، فراح يفسر ويصحح، ويوضح، ويدافع: بدأ أولاً بتنبيه ابن القارح إلى أن "هذا البيت الذي أوله:أذم إلى هذا الزمان أهليه

إنما قاله في: "علي بن محمد بن سيار بن مكرم" بأنطاكية قبل أن يمدح "سيف الدولة علي بن عبد الله ابن حمدان"، ثم دافع عن المتنبئ فقال:

"وحدثت أنه كان إذا سئل عن حقيقة اللقب قال: هو من النبوة، أي: المرتفع من الأرض. وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هم دونه وإنما هي مقادير، يديرها في العلو مدبر، يظفر بها من وفق، ولا

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 174-175.

[2] رسالة ابن القارح، ص: 351.

يراع بالمجتهد أن يخفق، وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متدلهاً ومثل غيره من الناس متدلهاً، فمن ذلك قوله:

ولا قابلاً إلا لخالقه حكماً

وإذا رجع إلى الحقائق، فنطق اللسان، لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان، الغفران، ص: 351[1].

ومن سخريته بالملل والنحل، وحملته على النفاق والرياء، وإسرافه في التظاهر بالغضب على الزنادقة الذين يلعبون بالدين، ويرمون إدخال التشبه والشكوك على المسلمين، ثم اندفع يروي أخبار الزنادقة ويتلو كفرياتهم، وأسمع ختام هذه الغضبة على الزنادقة فيقول:

"ولو استقصيت القول في هذا الفن لطال جداً ولكن:

لا بد للمصدر أن ينفثا وللذي في الصدر أن يبعثا

بل كنت أنشد:

أحمل رأساً قد مللت حمله ألا فتى يحمل عني ثقله!

وأستريح إلى أن أنشد:

ليس يشفي كلوم غير كلومي ما به به وما بي بي

هذا الرجل الذي تكاد أقواله تنيم عليه، سمع – ابن القارح – أن "أبا العلاء" ذكر هجاءه لأبي القاسم المغربي، فراعه ذلك وخشي أن يتصوره الشيخ بصورة من يضع الكفر موضع الشكر فكتب يبرر هجاءه.

"وبغضي له – شهد الله –حياً وميتاً، أوجبه أخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة، وضربها دنانير ودراهم سماها الكعبة، وأنهب

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 176.

العـرب الرملــة، وخــرب بغـداد، وكــم دم ســفك وحــريم انتهــك، وحــرة أرمــل وصبي أيتم".

وهـذا يفسـر لنـا حملـة "أبـي العـلاء" علـى النفـاق والمنـافقين والريـاء والمـرائين وعبثـه بالشـيخ ومـا يظهـر مـن تـدين وسـخريته بتوبتـه المـدعاة وحججه الخمس! فقال:

"وإذا تســامعت المحافــل بتوبتــه، اجتمــع عليــه الشــبان المقتلبــون والأدبــاء المكتهلـون، وكـل أشـيب لـم يبـق مـن عمـره إلا ظـم حمـار، كمـا اجتمـع لسـمر أصـناف السـمار... وجلـس لهـم فـي بعـض المسـاجد بحلـب حرســها الله... وإذا كــان ذلــك بتفضــل الله، أعــد معــه خنجــراً كخنجــر ابــن الرومـي... فيكـون ذلـك الخنجـر قريبـاً منـه يجـأ بـه أعنـاق زقـاق الحمـر وقـرأ هذه الآية:(إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) [1].

"وإذا صـحت الأخبـار المنقولـة بـأن أهـل الآخـرة يعلمـون أخبـار أهـل العاجلـة فلعـل حواريـه المعـدات لـه فـي الخلـد يسـألن عـن أخبـاره مـن يـرد علـيهن مـن الصـلحاء فيسـمعن مـرة أنـه بالفسـطاط، وتـارة أنـه بالبصـرة، ومـرة أنـه ببغـذداد، وخطـرة أنـه بحلـب، فـإذا شـاع أمـر التوبـة ومـات ناسـك مــن أهــل حلــب أخبــرهن بــذلك فســررن وابــتهجن، وهنــأهن جــاراتهن...". الغفران، ص: 493[2].

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 179.

[2] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 179.

المبحث الثاني

الزندقة الواردة في أخبار ومعلومات

كانت زندقة أبي العلاء موضع الاهتمام ومثار الأقاويل منذ كان حتى يومنا هذا، وقد تحدث فيها معاصروه، وما يزال أهل زماننا فيها يتحدثون، بحيث يندر أن ترى كتاباً عن أبي العلاء لم يتعرض لزندقته ومذهبه.

وأحسبنا نذكر ما لقي أبو العلاء في حياته من هذا التعرض. دخل عليه ذات يوم أحد قراء المعرة، فطلب منه بعض القوم أن يتلو شيئاً من الذكر الحكيم، فقرأ قوله تعالى: (ومن كان في هذه أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً).

فبلغ من تألم أبي العلاء لذلك أن هجاه، على ندرة ما نظم في الهجاء.

وسأله "المنازي"الوزير يوماً : ما هذا الذي يرويه الناس عنك؟ قال: قوم حسدوني فكذبوا عليّفأجاب "المنازي": وعلام حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟

قال "المنازي" قال أبو العلاء: والآخرة؟ ثم أطرق ولم يكلمني حتى ثمت عنه.

وزاره بعض القضاة فقال له أبو العلاء:لم أهج أحداً . قال: صدت إلا الأنبياء. قال: فتغير لونه.

وجاء فيما رواه "ياقوت" من شعره الدال على سوء عقيدته ما نصه:

"ولما أجلى عمر بن الخطاب أهل الذمة عن جزيرة العرب، شق ذلك على الجالين، فيقال[1]:

إن رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن أدكن قال في ذلك:

يصول "أبو حفض" علينا بدرة رويدك، إن المرء يطفو ويرسب

كأنك لم تتبع حموله ما قط لتشبع، إن الزاد شيء محبب

ونحن سبقناكم إلى المينا فاعرفوا لنا رتبة البادئ الذي هو أكذب

مشيتم على آثارنا في طريقنا وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا

وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحلة هذا اليهودي أو أن إيراده لمثل هذا واستلذاذه به، من إمارات سوء عقيدته وقبح مذهبه[2].

أما ما ورد في رسالة الغفران من أخبار ومعلومات زندقية، وهو يرى الزندقة داء قديم حيث يقول:

"... ولكن الزندقة داء قديم، طالما حلم بها الأديم وقد راى بعض الفقهاء، أن الرجل إذا ظهرت زندقته ثم تاب فزعاً من القتل، لن تقبل توبته.

وليس كذلك غيرهم من الكفار، لأن المرتد إذا رجع قبل منه الرجوع...".

وأيضاً يرى أبو العلاء المعري أن الزندقة داء عام جعله لا يخص به ملة دون غيرها، لأن البلية عامة حيث يقول:

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران لأبي العلاء المعري، دار المعارف بمصر، ص: 160.

[2] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 162.

"ولا ملـة إلا ولهـا قـوم ملحـدون، أصـحاب شـرعهم أنهـم موالفـون وهـو فيهـا بطـن مخـالفون؛ ولا بـد مـن أن ينهتـك مخـاجع، وتبـدو مـن الشـر جنادع[1].

وقـد كانـت ملـوك فـارس تقتـل علـى الزندقـة والزنادقـة هـم الـذين يسمون الدهرية، ولا يقولون بنبوة ولا كتاب...

وكـذلك يـرى أن الزندقـة والإلحـاد لا تقتصـر علـى هـذه الفئـة التـي اشـتهرت بهـا فـي العصـر العباسـي، فقـد ظهـر فـي قـريش قـديم حيـث يقـول: "وبعـض العلمـاء يقـول: إن سـادات قـريش كـانوا زنادقـة، ومـا أجـدرهم بذلك...".

وظهـرت فـي صـدر الإسـلام، فـي عهـد الخلفـاء الراشـدين حيـث يقـول:"وكـان ربيعـة بـن أميـة بـن خلـف الجمحـي" جـرى لـه مـع "ابـي بكـر الصديق" – رحمه الله – خطب فلحق بالروم ويرى أنه قال:

لحقت بأرض الروم غير مفكر بترك صلاة من عشاء ولا ظهر
فلا تتركوني من صبوح مدامة فما حرم الله السلاف من الخمر
إذا أمرت "تيم بن مرة فيكمم فلا خير في أرض حجاز ولا مصر
فإن يك إسلامي هو الحق الهدى فإني قد خليته لأبي بكر

وافتـتن النـاس فـي الضـلالة حتـى اسـتجازوا دعـوى الربوبيـة فكـان ذلـك تنطساً فـي الكفـر، وجمعـاً للمعصـية فـي المـزاد الـوفر، وإنمـا كـان أهـل الجاهلية يدفعون أن النبوة ولا يجاوزون ذلك إلى سواه..." [2].

---

[1] عائشـة بنـت الشـاطئ، رسـالة الغفـران، ومعهـا نـص محقـق مـن رسـالة ابـن القـارح، دار المعـارف، الطبعة العاشرة، ص: 429.

[2] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 441.

وقد رأى أخباراً عن بعض الزنادقة ومنهم الصناديق "زنديق ظهر سنة سبعين ومائتين" حيث يقول: "وأما المنسوب إلى الصناديق فإنه يحسب من الزناديق. وأحسبه الذي كان يعرف "بالمنصور" ظهر سنة سبعين ومائتين[1].

وأقام برهة باليمن؛ وفي زمانه كانت القيان تلعب بالدف وتقول:

خذي الدف يا هذه وألعبي وبثي فضائل هذا النبي

تولي نبي بني هاشم وقام نبي بني يثرب

فما تبتغي السعي عند الصفا ولا ذوره القبر في يثرب

إذا القوم صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي وأشربي

وأيضاً يرى أن رجلاً كان باليمن يحتجب في حصن له، ويكون الواسطة بينه وبين الناس خادماً له، أسود قد سماه "جبريل" فقتله الخادم في بعض الأيام وانصرف، فقال بعض المجان:

تبارك الله في علاه فر من الفسق جبريل

وظل من تزعمون رباً وهو على عرشه قتيل[2].

فهذا الرجل كان يدعي الربوبية.

ويرى عن "الوليد بن يزيد" حيث يقول:

"وأما "الوليد بن يزيد" فكان عقله عقل وليدٍ وقد بلغ سن الكهل الجليد. ما أغنته نيه سابجة، ولا نفعت النبابجة وشغل عن الباطية، بجريدة النفس الخاطئة؛ دحاه إلى سقر داحٍ فما يغترف بالأقداح.

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 438.

[2] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 439.

وقد رويت له أشعار، يلحق به منها العر كقوله:

أدنيا مني خليلي عبدلا دون الإزار

فلقد أيقنت أني غير مبعوث لنار

وأتركا من يطلب الجن ـة يسمى في خسار

سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمار[1].

حيث يرى أبو العلاء المعري أن الزندقة والإلحاد داء قديم، يث يقول:

"وهذه المذاهب قديمة، تنتقل في عصر بعد عصر، ويقال إن "فرعون" كان على مذهب الحلولية فلذلك ادعى أنه رب العزة.

وحكي عن رجل منهم أنه كان يقول في تسبيحه:

سبحانك سبحاني غفرانك غفراني

وهذا هو الجنون الغالب، إن من يقول هذا القول معدود في الأنعام ما عرف كنه الإنعام. وقال بعضهم:

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني

وإسخاطك إسخاطي وغفرانك غفراني

ولم أجلد يا ربي إذا قيل هو الزني

وبنو آدم بلا عقول، هذا أمر يلقنه صغير عن كبير، فيكون بالهلكة أو في صبير: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً).

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 444.

ويروى في بعض أهل هذه النحلة:

رأيت ربي يمشي بلا لك في سوق يجيء فكدت أنفطر

فقلت: هل في اتصالنا طمع؟ فقال: هيهات أيضع الحذر

ولو قضى الله ألفة بهوى لم يك إلا السجود والنظر

وتؤدي هذه النحلة إلى التناسخ، وهو مذهب عتيق يقول به أهل الهند، وقد كثر في جماعة من الشيعة، نسأل الله التوفيق والكفاية[1].

يقول أبو العلاء المعري:

"وقد بلغني أن رجلاً بالبصرة" يعرف "بالتلباس" تزعم جماعة كثيرة أنه رب العزة وتجبى إليه الأموال الجمة ويحمل إلى السلطان منها قسماً وافراً ليكون بما طلب ظافراً؛ وهو إذا كشف ساقطٌ لاقطٌ يبذه إلى الفضل الماقط – والماقط الذي يكري من بلدٍ إلى بلد – وحدثت أنت امرأة "بالكوفة" يدعى لها مثل ذلك.

وقد سمعت من يخبر أن "لابن الرواندي" معاشر تذكر أن اللاهوت سكنه وأنه من علمٍ مكنه. ويختر صون له فضائل يشهد الخالق وأهل المعقول أن كذبها غير مصقول؛ وهو في هذا أحد الكفرة؟، لا يحسب من الكرام البررة، وقد أنشد له منشد، ويره التغني المرشد:

قسمت بين الورى معيشتهم قسمة سكران بين الغلط

لو قسم الرزق هكذا رجلٌ قلنا له: قد جننت فاستطر[2]

المبحث الثالث

---

[1] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 457-458.

[2] عائشة بنت الشاطئ، الغفران، ص: 494-495.

الزندقة الواردة في رسالة الغفران

(طرف وملح ونوادر)

وبين (داعي الدعاة) رأينا الشيخ يورد في رسالته الشافية بعض أشعار الملاحدة، فكان رد "الداعي" يشعر بما رأيه من ذلك، وإن اصطنع اللباقة في تعبيره عن استرابته قال:

وأما إنشاده: ألمت بالتحية أم عمرو؟

وما بعده من الأشعار، وذمه من قال ولعنه، فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك؟ حاشه! وما الذي أوجب الإذكار بكفريات أشعارهم.

والأشعار التي يشير إليها الداعي، هي قول الشيخ في رسالته إلى "داعي الدعاة".

وأعوذ بالله وأتبرأ من قول الكافر:

ألمت بالتحية أم بكر فحيوا أم بكر بالسلام

ولعن الله القائل، ويقال إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

أدنيا مني خليلي "عدلاء" دون الأزر

وويل لابن رغبان إن كان قال:

هي الأولى وقد نعموا أخرى وتسويف الظنون من السواف

ونذكر هنا أن هذه الأبيات جميعاً، قد وردت في رسالة الغفران والأسلوب واحد: هنا وهناك.

والدكتور طه حسين، أيضاً يرى أن موقف "أبي العلاء" هنا هو مريب قال:

"... وكم ضحى من زنادقة العباسيين بضحايا ليعلف أنه مسلم، ولكن هذا الكيد كله لم يزد الناس إلا علماً واتهاماً له".

أما المستشرقون فلم يقفوا عند الذي راب العرب، وإنما مر أكثرهم بأخبار الزنادقة في "الغفران"مروراً سريعاً عابراً .

وسكت "ميجويل أسين" عن هذا الجانب من "رسالة الغفران" إذ كان معنياً بدرس ما يعنيه منها، وهو الرحلة إلى الآخرة، لأنه الجانب الذي يتصل بالكوميديا الإلهية[1].

ولعل "نيلكسون" هو الذي أفاض في الحديث عن الزندقة في (الغفران)، ولكن رأيه فيها لا يخلو من تهافت وتناقض، كما أن فهمه لها تعوزه الصحة أحياناً والدقة أحياناً أخرى.

بدأ فقال إن سلوك "أبي العلاء" نحو الزنادقة، لا يقوم أساساً لاتهامه بالعطف عليهم، واستظهر المستشرق على ذلك بثلاثة أمور أولها أن الشيخ يدعو الله أن يثيب "ابن القارح" بما لعن من عقائدهم، وأنه يبارك "محمداً" صلعم بما أباح من استعمال السيف ضد الكفر. وأنه يعجب لمحاولة "ابن الرواوندي" تقليد القرار لعمل من عنده.

ثم قال عن أبي العلاء والزنادقة: في الحق لم يقل شيئاً في جانبهم، وإن كان أحياناً يعرب عن أهله في ألا يكونوا من السواد كما صبغوا أنفسهم، وأنهم يقولون ما لا يفعلون.

ونقف لحظة هنا لنحقق ما ظن "بنكلسون" هنا أن التقى يهتم به "أبا العلاء" أو أن المحقق يقف عنده، إنه يشير في أمر "بشار" إلى ما جاء في القسم الثاني من (الغفران) حيث قال "أبو العلاء":

---

[1] الغفران لأبي العلاء المعري، تحقيق ودرس، تأليف الدكتور بنت الشاطئ، ص: 169-170.

"وبشار إنما أخذ ذلك من يره، وقد روي أنه وجد في كتبه رقعة مكتوب فيها: إني أردت أن أهجو فلاناً ابن فلان الهاشمي فضعفت عنه لقرابته من الرسول صلعم".

"... ويقال إن يعقوب بن داود وزير المهدي تحامل على بشار حتى قتل... والله العالم بحقيقة الأمر، ولا أحكم عليه بأنه من أهل اليسار"[1].

وموقف "أبي العلاء"من بشار هنا يبدو مناقضاً لما ذكر في القسم الأول من الغفران، حيث لم يتردد في إلقاء بشار في الجحيم، بل إن صورة "بشار" كانت أول ما طالعنا في موكب الشعراء المعذبين: "فلا يسكت من كلامه إلا ورجل في أصناف العذاب يغمض عينيه حتى لا ينظر إلى ما نزل به من النقم، فيفتحهما الزبانية بكلاليب من نار، وإذا هو بشار بن برد قد أعطي عينين بعد الكمه لينظر إلى ما نزل به من النكال"[2].

والواقع أن في "الرسالة"نفسها تفسيراً هذا التناقض إن كان لنا أن نسميه تناقضاً . فالجو مختلف في الحالين، والمؤلف ينتقل بين عالمين.

الحديث الأول يعرض في جو شعري، والحديث يقال في سياق تاريخي، فأبو العلاء هناك أديب متفنن يعرض مشاهد متصورة، ويروي ما لم يحدث في الواقع، وهو هنا يشبه أن يكون ناقلاً محققاً يذكر الوشاية التي نقلت إلى يعقوب بن داود قال بشار:

بني أمية هبوا من رقابكم إن الخليفة بن داود

---

[1] الغفران لأبي العلاء المعري، تحقيق ودرس، تأليف: الدكتورة بنت الشاطئ، ص: 363-366.

[2] الغفران لأبي العلاء المعري، تحقيق ودرس، تأليف الدكتورة بنت الشاطئ، ص: 221-365.

ليس الخليفة بالموجود بالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

وإن يعقوب تجاهل عليه حتى قتل.

وما كان لأبي العلاء – حتى ولو صح ما اتهم به بشار – أن يحكم عليه بأنه من أهل النار، إلا إذا كان تصوراً شعرياً، أما في هذا السياق التاريخي الواقعي، فحسبه أن يقول: "والله العالم بحقيقة الأمر" وكأن المعاني تداعت هنا، فذكره هذا المقام بالصورة التي عرضها من قبل لبشار، فقال: "ولا أحكم عليه بأنه من أهل النار، وإنما ذكرت ما ذكرت – من لقائه في النار - لأني عقدته بمشيئة الله[1].

هكذا نرى أن فهم "نيلكسون" لموقف "أبي العلاء" من "بشار" هنا تعوزه الدقة، ومتابعة أقوال الشيخ في هذا الأمر، وإدراك العوالم المتباينة التي كان الشاعر ينتقل بينها والعوامل المختلفة التي كانت تتحكم فيما يصدر عنه.

ودفاع الشيخ عن "المتنبئ" لم يأت عرضاً، ولا دعاه إليه إقراره لدعواه، وإنما نرى ابن القارح يقحم الحديث عن المتنبئ، متعسفاً في تأويل قوله:

أذم إلى هذا الزمان أهليه

وذاهباً به إلى أبعد ما تحتمله العبارة قال:

"صغرهم تصغير تحقير غير تكبير، وتقليل غير تكثير، فنفث مصدوراً وأظهر ضميراً مستوراً ... وما يستحق زمان ساعده بلقاء "سيف الدولة" أن يطلق على أهله الذم، وكيف هو القائل:

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفة من دارة لجسامه

---

[1] الغفران، لأبي العلاء، الدكتورة بنت الشاطئ، ص: 366.

ولا يجب أن يشكو عاقلاً ناطقاً، إلى غير عاقل ولا ناطق إذ الزمان حركات الفلك، إلا أن يكون ممن يعتقدون أن الأفلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدري بمواقع أفعلها بمقصود وإرادات ومحصلة هذا الاعتقاد على أن يقرب لها القرابين ويدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله:

فتباً لدين عبيد النجو م ومن يدعي أنها تعقل

أو يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ويوشك أن تكون هذه صفته[1].

ومثل هذا الاعتساف، وذلك التأويل الظالم جدير بأن يثير رجلاً "كأبي العلاء"دفاعاً عن شاعر كالمتنبئ كان يحبه ويقدره. فراح يفسر، ويصحح، ويوضح، ويدافع بدأ أولاً بتنبيه ابن القارح إلى أن "هذا البيت الذي أوله:

أذم إلى هذا الزمان أهليه

إنما قاله في "علي بن محمد بن سيار بن مكرم" بأنطاكية قبل أن يمدح "سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان" والشعراء مطلق لهم ذلك... الخ[2].

ثم دافع عن المتنبئ فقال:

"وحدثت أنه كان إذا سئل عن حقيقة اللقب قال: هو من النبوة، أي المرتفع من الأرض. وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه، وإنما هي مقادير، يديرها في العلو مدير، يظفر بها من وفق ولا يراع بالمجتهد أن يخفق.

---

[1] رسالة ابن القارح، ص: 351. أ:ب: مخطوطة رقم (80) مجاميع تيمور.

[2] الغفران لأبي العلاء المعري، بنت الشاطئ، ص: 347-351.

وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متألهاً، ومثل غيره من الناس متدلهاً، فمن ذلك قوله:

ولاقابلاً إلا لخالقه حكماً

ما أقدر الله أن مخزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

وإذا رجع إلى الحقائق، فنطق اللسان، لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان[1].

[1] المرجع السابق، ص: 176.

الفصل الرابع

النتائج والتوصيات

النتائج:

1. أثبت الدراسة بأن هدف المعرَّي من الغفران أن إثراء العقل العربي بالفكر والخيال.
2. نتج عن الدراسة تغذية الناشئة العربية بالكلمات الغربية من اللغة العربية الفصحى.
3. وضحت الدراسة قدرة أبي العلاء المعري على خلق روح الدعاية والضحك والمرح والسخرية.
4. عكست الدراسة هيئة العصر العباس، ونزاعة الديني.
5. دلت الدراسة على أن العباس الأول مضخم بالامتزاج الروحي واللغوي والثقافي والاجتماعي والديني.
6. أظهرت الدراسة مكانة أبي لعلاء المعري الفلسفية واللغوية ، وعكست معتقده الديني .
7. أبرزت الدراسة أفكار الزنادقة التي لا تناسب الدين الإسلامي.

التوصيات :

1. يجب لكلّ متعلم أن يطلع على الأدب العباس ولا سيما رسالة الغفران لأبي العلاء المعري .
2. لا بد للمسلمين من معرفة الزنادقة وتجنب أفكارهم .
3. يجب أن ينظر أبو العلاء المعري من ناحية أنه أديب وشاعر يمتلك ناصية اللغة والعمل على نشر مؤلفاته ؛ لأنها تغزي القارئ لغوياً .
4. عدم إظهار رؤية الزنادقة إلى الدين الإسلامي على الناشئة الإسلامية.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب.

1. حسين عطولان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت: دار الجيل.
2. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثانية عشر 1987م، منشورات المكتبة البولسية – لبنان.
3. خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع.
4. زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، المكتب الإسلامي.
5. سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي، الطبعة الأولى 2011م، دار المسرة، عمان.
6. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الخامسة، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر 1965م.
7. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 3، العصر العباسي، الطبعة الثامنة.
8. عائشة بنت الشاطئ، رسالة الغفران، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، دار المعارف، الطبعة العاشرة.
9. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الغفران دراسة نقدية، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة.
10. الغفران لأبي العلاء المعري، تحقيق ودرس، تأليف الدكتور بنت الشاطئ.
11. مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، الطبعة الثالثة، الناشر الدار المصرية اللبنانية.